سلسلة الفكر

القراءة للجميع
مكتبة الأسرة ٢٠١٠

المسلمون أو سر الحداثة الأوروبية

خالد زيادة

الهوية المصرية العدد الثاني

برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام

د . محمد صابر عرب

تصميم الغلاف

د . مدحت متولى

الإشراف الفنى

ماجدة عبد العليم
على أبـو الخيـر
صبرى عبد الواحد

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافـة

وزارة الإعـــلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

المجلس القومى للشباب

وزارة التنمية الإقتصادية

المُسلِمُونَ وَالحَدَاثَةُ الأُورُوبِيَّة

خَالِد زِيَادَة

موضوع علاقة المسلمين بأوروبا، وبشكل خاص الحداثة الأوروبية، جرى تناوله في العديد من الأبحاث والدراسات التي قام بها مسلمون وعرب وأوروبيون. إن هدف هذا الكتاب، ليس إضافة وجهة نظر أخرى في هذا السياق، وإنما البحث عن الظروف التي اكتشف المسلمون فيها تقدم أوروبا، بعد أن استقر في وعيهم لزمن طويل أنهم متفوقون على العالمين.

والواقع أن الذي كان وراء البحث في هذا الجانب من الموضوع هو أن الفكر العربي قد اعتبر أن بداية اتصال المسلمين بالتقدم الأوروبي قد حدث مع حملة بونابرت على مصر عام 1798. علمًا بأن الأتراك العثمانيين قد أدركوا قبل قرن من الحملة الفرنسية أن العسكرية الأوروبية باتت متفوقة على القوات العثمانية، وأجروا - على امتداد القرن الثامن عشر - العديد من المحاولات لاكتشاف التنظيم والعلم والعسكريين الأوروبيين.

ولا يتعلق الأمـر بالبحث عن الأسبـقية في اكـتشاف التـقدم الأوروبي، وإنما التعـرُّف إلى تجربة أخـرى تمت فصـولها في زمن اخر، وفي ظروف مغايرة، وفي عاصمة الدولة إستانبول، وبجهود من جانب السلاطين أنفسهم.

إن البحث فـي علاقات الدولة العـثمـانية مع بدايات التـقدم الأوروبي، يفتح المجـال للبحث في التاريخ والتـجربة العثمـانية؛ الأمر الذي يتطلب منا نحن العـرب، إضافة بُعد آخـر لفهمِ أعمق المسائل والمشـاكل التي رافقت التحديث بجـوانبه التقنية والعـلمية والفكرية.

فإذا كانت تجارب التحديث التي جـرت في العاصمة إستانبول خلال القرن الثامن عشر، قـد انحصرت في الإطار العثماني، ولم تترك آثاراً في الولايات العربية، فإن الإصلاح (التحديث) العثماني

في القرن التاسع عشر، في الفترة التي عرفت باسم التنظيمات، قد ترك آثاراً في الولايات العربية (سوريا ولبنان والعراق ومصر وتونس)، لتفترق بعد ذلك التجربة التركية بعد الحرب العالمية الأولى، وإلغاء السلطنة، وانفصال المصير السياسي العربي، عن المصير السياسي التركي.

هذه العودة إذاً، إلى قراءة العلاقات الإسلامية الأوروبية؛ وبمعنى أدق اكتشاف الحداثة الأوروبية، وتبني أجزاء منها هنا وأجزاء أخرى هناك، يُزيد من فهمنا لمسائل التطور التاريخي والمشكلات الحاضرة، وهو الأمر الذي نحتاج إليه، فالمجتمعات تحت ضغط المتطلبات، تغفل جذور الأزمات، وتفقد سيرورة التاريخ في تواصل حلقاتها وتأثير بعضها على البعض الآخر.

كتابنا هذا مضى على طبعته الأولى ما يقترب من ثلاثة عقود من الزمن، حين صدر في بيروت عام 1981. وإذ أدفعه إلى طبعة جديدة فلأن المدة التي انقضت لم تُفقد موضوعه الأهمية، ولم تشهد المدة إياها صدور دراسات من جانب باحثين عرب، تُغني عن ذلك.

وقد آثرت أن أترك الكتاب كما صدر في طبعته الأولى، عدا تعديلات طفيفة واستبدال الخاتمة بأخرى. وقد أضفت إلى هذه الطبعة، نصين مترجمين عن الفرنسية كتبهما عثمانيان من أبناء تجربة السلطان سليم الثالث:

النص الأول للسفير «محمود رئيف» بعنوان: جدول المطبعات الجديدة في الدولة العثمانية 1798.

النص الثاني للمهندس «سيد مصطفى» بعنوان: نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1801.

وبالإضافة إلى كون الكاتبين قد اختارا التعبير بالفرنسية لتوجيه رسالة مبكرة إلى أوروبا حول جهود التحديث، فإن النصين المذكورين يكشفان عن الهواجس الأساسية التي دفعت إلى التفكير بالإصلاح العسكري والمالي والعلمي في نهاية القرن الثامن عشر.

القاهرة، يونيو (حزيران) 2009

كان الدور الفرنسي بحكم الظروف ذا صفة عسكرية، إلا أنه لم يقتصر على هذا المجال فقط. وبفضل الاتصال بين الطلاب والجنود ورجال الحكم العثمانيين من جهة وبين الضباط والخبراء الفرنسيين قام نوع من التعاطف العثماني تجاه هؤلاء المعاونين المنظمين، وقد تغذى هذا التعاطف بالمناقشات الطويلة التي كانت تخرج من إطار برامج الدروس والتدريبات لتصل إلى آفاق لا يمكن حصرها. ومن ناحية أخرى فإن إلزامية تدريس اللغة الفرنسية أوجد عدداً من العثمانيين الذين يحسنون التخاطب والقراءة بها اللغة، فعرفت استانبول عدداً من أبناء الجيل الجديد المتفتح على معرفة جديدة، وقد أمكن لهؤلاء المستنيرين من الجيل الجديد أن يقرأوا كتباً منوعة بالفرنسية كانت متوافرة في المكتبات الملحقة بمدرسة الهندسة وغيرها من المعاهد، وكانت مكتبة مدرسة الهندسة تحتوي على ما يقرب من 500 كتاب أغلبها بالفرنسية بينها أجزاء من الموسوعة الفرنسية وكتب لڤولتير وغيره من المفكرين والعلماء[1].

الدعاية الفرنسية:

الأفكار الفرنسية الثورية لم تكن متروكة للتسرب الاتفاقي أو للمصادفات. ولم يكن كافيا بالنسبة لرجال الحكم الثوري في فرنسا أن تتسرب الأفكار التحررية والشعارات الحديثة من

(1) Lewis. B: The impact of French.. P. 109.

الاحتكاك الفردي. فالثورة الفرنسية قد نهجت مع قيامها نهجًا متعدد الأوجه يهدف إلى نشر أفكارها إلى جهات العالم. وكانت الدولة العثمانية بأقاليمها وولاياتها المتعددة أولى المناطق، خارج أوروبا، الموضوعة ضمن دائرة اهتمام رجال النظام الجديد فى باريس، وقد اتخذت خططًا لنشر الدعاية لأفكار الثورة وشعاراتها ولنظام الحكم في فرنسا.

في استانبول، ساهمت السفارة الفرنسية من خلال المط التي تخصصها في طبع الكتب العلمية باللغتين الفرنسية والتركية. وفي عام 1795 أرسل Louis Allier، مدير المطبعة الوطنية في باريس، مطبعة لإلحاقها بسفارة فرنسا في استانبول من أجل تعزيز الدعاية الفرنسية ضمن الخطة المعتمدة من الحكومة الفرنسية[1]، فطبعت نشرة دورية كانت تصدر مرة في الشهر بعنوان «المجلة الفرنسية في استامبول»[2] كما تأسست أيضًا نشرة أخرى بعنوان «نشرة مفوضية الجمهورية الفرنسية لدى الباب العالي»[3]. وعدا عن ذلك فإن المطبعة التابعة للسفارة الفرنسية في استانبول نشرت أيضًا وثائق وبيانات مثل «دستور الجمهورية» و«إعلان حقوق الإنسان» وغيرها من الوثائق الفرنسية الثورية[4].

---

(1) SHAW, S. J: Between old and new.. P 195.

(2) "La Gazette Française de Constantinople".

(3) "Le Bulletin de la légation de la Republique Française près de ka porte".

(4) SHAW, S. J: Between old and new. P. 196.

وكان الهدف من هذا النشاط الدعاوى مزدوجًا، فمن ناحية إبقاء الصلة مع الفرنسيين العاملين والمقيمين في أراضي الدولة العثمانية، ومن ناحية أخرى نشر الدعاية بين العثمانيين أنفسهم، وقد عبر عن ذلك أحد رجال الإدارة فى باريس شارحًا أهداف تأسيس المطبعة في استانبول، يقول: «المطبعة ينبغي أن تخدم في تأدية هدفين على قدر متساوٍ من الأهمية. أولاً تنوير المواطنين المقيمين في المشرق حول قضايا الجمهورية، ثانيًا إعطاء الأتراك فرصة التعرف على الكتب العامة التي تقدم طعم العلوم التي تهمهم»(1).

لكن ترجمة هذه الوثائق إلى التركية لم يكن يخلو من بعض الصعوبات، خصوصًا لجهة نقل المصطلحات الحديثة إلى التركية. ومع ذلك فإن أتراكًا وعاملين في الإدارة العثمانية عاونوا في نشاطات السفارة الفرنسية، ومن هؤلاء الأرمني Mouradgea الذي أسهم بفاعلية في ترجمة المنشورات الفرنسية.

ويمكن أن نضيف أيضًا بأن الفرنسيين المقيمين في استانبول قد أسهموا بدورهم في نشر الأفكار الفرنسية من خلال تشكيلهم للنوادي والجمعيات التي أنشأوها داخل استانبول نفسها، وأهم هذه الجمعيات كانت الجمعية التي أسسها دي كورش Des corches عام 1793 باسم «الجمعية الجمهورية لأصدقاء الحرية والمساواة».

---

(1) Lewis. B. The impact.. P 117.

ثم الجمعيـة التي أسسها Henin في نفس السنة باسم: «الجمـعية الشعبية الجمهورية». أكثر من ذلك، أيضًا، فاليعاقبة من الفرنسيين في استانبول لم يوفروا الاحتفـالات بالثورة، فدعوا إلى احتفالات عامـة تحدثوا فـيهـا عن حقـوق الإنسان ومـساوئ النظام الـقديم شارحين معاني الحرية والمساواة والإخاء[1].

وعدا عن الكتب والجرائد التي كانت تروجها السفارة الفرنسية وعدا عن نشاطات الفـرنسيين في استانبول، فقـد اعتمدت الإدارة الفرنسية شكلاً آخر من الدعاية لأفكارها وسياستها.

ففي باريس كـانت الوثائق الثورية تتـرجم إلى لغات متـعددة مثل اليونانيـة والعربية والأرمنية والتركـية لتوزع في ولايات الدولة العثمانية. وكان ثمة في باريس دائرة خاصة بإدارة لويس لانغليس Louis Langles كانت تشـرف على ترجمـة هذه المنشورات[2].

وقد ترجم على سبيل المثال بيان المؤتمر الوطني عام 1794 والموجه إلى الشعب الفرنسي، إلى العربية ووزع في كراس واحد مع النص الفرنسي ووزع في الجزر الشرقية.

وتوجهـت الدعاية بشكل خـاص إلى رعايا الدولة العـثمـانية المسيحـيين في اليونان وأوروبا الشرقيـة عمومًا، الذين كـانوا أكثر تقبـلاً للأفكار الجديدة إلى درجـة أثارت مخـاوف وغضب بعض

---

(1) SHAW, S. J: Between old and new.. P. 197.

(2) Lewis. B. The impact.. P 117.

رجال الإدارة العثمانية. وقد طالب خالد أفندي السفير في باريس بوضع حد للدعاية الفرنسية في الجزر الشرقية واليونان. وذهب إلى حد المطالبة بإجراء تحقيق وإصدار أوامر من السدة الكنسية اليونانية لمنع المسيحيين في الأقاليم العثمانية من قراءة هذه البيانات إذا ظهرت[1].

من ناحية أخرى فإن الفرنسيين أظهروا أنفسهم كأعداء للكاثوليكية والباباوية محاولين كسب ودّ المسلمين، ومن خلال هذه السياسة حاولوا خلق تعاطف إسلامي تجاه فرنسا، يقول أحد التقارير الفرنسية بهذا الصدد: أن مبعوثي الحكومية الثورية نجحوا في خلق التعاطف حتى داخل الديوان، فقد ألحوا على سبيل المثال حول النقطة التالية: إن فرنسا منذ أن تبنت ديانة العقل لم تعد في تناقض ديني مع المسلمين. وقد صار للمبعوثين أصدقاء في استانبول»[2].

وقد نشر فيما بعد إبان عهد الامبراطورية في فرنسا بيان لم تخف حقيقته، وُزع باللغتين العربية والتركية عام 1807 وكأنه صادر عن جهة رسمية باسم «المؤذن العثماني»[3]، يدعو المسلمين إلى دعم سياسة نابليون ضد الروسيا، يقول البيان: «اعلموا أن صديق المسلمين القديم، فاتح لهم باب مودته وأن مملكته فرنسا لم

---

(1) نفسه، ص 110.

(2) نفسه، ص 123.

(3) نشرنا نص البيان في مجلة «المسيرة» عدد رقم «10» بيروت. تشرين ثاني 1980.

تنس صداقتها ومودتها معنا من أول الزمان. وهذه الصداقة مؤسسة على منفعة الجهتين، فكلما حصل للإسلام من خير أو شر قد حصل للفرنسوية. .» ويضيف البيان: «ولا يخفيكم يا إخوتى أن مملكة فرنسا كانت متحسرة مما وقعت فيه من البلاء والعناء، وأن جميع بلدان الأفرنج كانت متعصبة عليها، وكذلك أهلها كانوا غير متحدين مع بعضهم بعض، فسلمت أمرها إلى نابليون الذي اختاره الله سبحانه فخلصها من كل شر أحوالها. .».

والواقع لقد كان لفرنسا أصدقاء في استانبول. فقد ترك الانفتاح على أوروبا وفرنسا آثارًا واضحة على جيل عثماني. وقد تكونت فئة من الضباط والإداريين والشاب المطلعين على الأفكار والشعارات الفرنسية، هؤلاء الشباب كانوا ينظرون إلى الفرنسيين بصفتهم الموجهين لما هو أفضل، فمالوا إلى الغرب وجاهروا الرجعية بالعداء. كانت هذه الفئة الجديدة مليئة بحماس ساذج للغرب إذ أدركوا أن الغرب يملك أكثر من الرياضيات والهندسة[1].

مثل عهد السلطان سليم الثالث (1789-807)، والذي يقع على مفترق القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مرحلة مهمة من تاريخ الدولة العثمانية في مجال الانفتاح على أوروبا من خلال الصلات مع فرنسا خاصة والاستعانة بخبرائها وعلومها وتقنياتها العسكرية.

(1) Lewis. B. The impact.. P 125.

وبالرغم من النهاية العنيفة التي انتهت بها تجربة السلطان سليم الثالث، والتـي أدت في نهاية الأمر إلى مـقتله. فـإن إجراءاته في مجال العسكرية والمالية والإدارة وتوطيـد العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأوروبية، قـد مثلت عهـداً لم يعد ممكنًا بعـده العودة إلى الوراء، فاندفع السلاطين ممن خلفوه في فتح نوافذ الدولة العثمانية أمام رياح الإصلاح والتغيير.

الفصل

الخامس

5

تبدل أساليب الكتابة والتفكير

ويبدو أن اللجوء للكتابة باللغة الفرنسية حمل مغزى رمزيًا أولاً بأول، فقد أتى من جانب أشد المتحمسين لفكرة الإصلاح، المتأثرين بالأفكار التحررية الجديدة. وبالرغم من قلة عدد المؤلفات، مع اتساع عدد العارفين بهذه اللغة، فإن اختيار لغة أوروبية للكتابة كان إيذانًا بمفارقة اللغات الإسلامية من فارسية وعربية المستخدمة من قبل الأتراك إلى جانب التركية. وضمن حلقة أنصار الإصلاح المتأثرين بالأفكار الجديدة الواردة من أوروبا ومن فرنسا بشكل خاص، فإن الكتابة والقراءة باللغة الفرنسية كانت تعني بداية الابتعاد عن منهج تفكير سائد منذ أجيال والارتباط بمنهج جديد وفكر جديد. وثمة أسباب عديدة كانت تدفع للكتابة بهذه اللغة، فمن ناحية أولى تلبي الكتابة بالفرنسية طموح الدخول في الكونية والعالمية والخروج من دائرة العزلة، الأمر الذي لا يمكن للغات الإسلامية أن تحققه. فالفرنسية تعني التعرف إلى حضارة جديدة وعلم جديد وهي ترمز عند دعاة الإصلاح إلى كل ما يشير إلى التقدم. ومن ناحية أخرى فقد كان من الممكن بالنسبة للتركي الذي يجد تراثه مكتوبًا بلغات متعددة أن يستخدم لغة غريبة أخرى تملك قوة لا تملكها اللغات الإسلامية الأخرى.

ويمكننا أن نلاحظ أن الكتابة بالفرنسية كان تسد عجز اللغة التركية فيما يتعلق باستخدام المصطلحات الحديثة. فالمؤلف الذي كان يريد أن يعبر عن أفكار جديدة ويضمّن مؤلفه المصطلحات الملائمة كان يجد اللغة الفرنسية قادرة على تلبية رغبته في ذلك.

ومن ناحية أخـرى فإن الكتابة بالفرنسيـة كانت تضع هذه المؤلفات والمحاولات بمنأى عن اعتراضات الجمـاعات التقليدية والمحافظة بما تمثله هذه المؤلفات من انفـتاح ولما تتضمنه من انتـقادات للاتجاهات المحافظة ولقـوات الانكشارية. ومع ذلك فـإن مجرد الكتـابة بهذه اللغة كان يـعتبر بالنسبـة لمعارضي الإصلاح نوعًا من الـتجديف. والمؤلفان مـحمـود رئيف وسيد مـصطفى لم ينجيـا عند انتفـاضة الانكشارية عام 1807 وعزل السلطان سليم الثالث، فقد أعدما من بين جملة الذين أعـدموا في ساحة الميـدان في استانبول، كـما أن كتبهم كانت من بين المؤلفـات التي أحرقت مع ما أحرق وهدم من إنجازات الإصلاح.

التنظيمات الجديدة:

محمود رئيف هو ابن عبدالرحمن أفندي الذي خدم في الباب العالي حيث نشأ محمود ودرب للخدمة[1]. وكانت أولى المهمات التي أوكلت إليه في عـهد سليم الثالث هي مـهمة دبلوماسـية في لندن. وخـلال سنتين كان السـفـير الدائم الوحـيد في عـاصمـة أوروبية. ويصف لنا اهتماماته خـلال وجوده في لندن، فبالإضافة إلى عمله الرسمي اهتم بالعلوم والاطلاع على المؤسـسات الحديثة والتعرف إلى شكل الحكم. يقـول في مطلع كتابه: «وحين تمكنت من تعلم بعض المبادئ الأوليـة للغة، رغبت في أن أعرف بتـعمق

(1) SHAW, S. J: Between old and new. P. 188.

اهتمامات إدارات أوروبا، فـفرغت نفسي نهائيًا لدراسة الجـغرافية والتاريخ، السياسة والقانون العام. أما لحظات فراغي فكنت املأها بملاحظة كل ما يقع تحت عيني، مـن ملاحظة النظام المالي للقوى الأوروبيـة، إلى أوضاع هذه الدول العـسكرية وقواتهـا البحـرية، وبكلمة مختصرة كل ما يتعلق بالحكومات»[1].

هذا الاهتمام الذي يشيـر إليه محمود رئيف في مقـدمة كتابه يدل على حمـاس أنصار الإصلاح وشـغفهم بمعـرفة كافـة أحوال المؤسسات الحديثـة في أوروبا، كما يدل على نظرة هؤلاء المتنورين إلى أنفسهم كتلامذة في مـدرسة أوروبا الجديدة. وبعد عودته إلى استانبول كرس محمود رئيف وقته في تأليف عدد من المؤلفات من بينها رسالة في الجغرافيا، اكتسب آنذاك لقبه الجديد «انكليز محمود أفندي». وفي عام 1800 عينه السلطان في مـنصب رئيس الكتاب (وزير خارجيـة) وسيمكث في منصبـه خمس سنوات وهي أطول مدة يقضيها وزير هذا المنصب خلال عهد سليم الثالث[2].

لفـهم موقع اللغـة الفـرنسيـة عند المتنورين في اسـتانبـول، واعتبارهم لها طريقة الاتصـال بالعالم الجديد، نلاحظ أن محمود رئيف وبالرغم مـن تعيـينه فـي لندن، ينكب على دراسـة اللغـة الفرنسيـة بدلاً من الانكليزية ويقول موضـحًا: «لم أتردد لحظة في قبول المهمة التي وجدتها تشـرفني، فأعددت نفسي سريعًا لرحلتي

---

(1) Raif, M: Tableu des nouveanx p. 4.

(2) المعلومات حول حياته تجدها في SHAW، المصدر المذكور.

هذه. وبما أن الفكرة كانت تملأ كياني، فإن اعتنائي الأول كان التزود بكتاب قواعد فرنسية بالإضافة إلى قاموس. وأوقفت نفسي على دراسة اللغة الفرنسية، التي بوصفها لغة عالمية تستطيع أن تلبي حاجتي»[1].

أما أسباب التأليف فيشرحها على الوجه التالي: «في كل أوروبا يجهل الناس الحالة الراهنة لقوات وعائدات السلطنة العثمانية، ومن هنا يمكن أن أقول إن هذه المحاولة يمكن أن تقرأ مع بعض الفائدة.. وهكذا فإنني مدفوع بشعور الاعتراف بالجميل قررت أن أقدم باللغة الفرنسية نبذة عن بعض التنظيمات التي قام بها صاحب الجلالة. وأوروبا بأسرها ستعترف بحماسه الذي لا يتعب من أجل ازدهار دولته وسيعترف بحكمته الفائقة التي تملي عليه أعماله السياسية»[2].

خصص محمود رئيف كتابه لعرض إصلاحات سليم الثالث. وخصوصًا ما يتعلق منها بالتنظيمات العسكرية. ولم يتسن له أن يعرض كافة الإصلاحات التي جرت في عهد سليم الثالث وخصوصًا في المجالات الثقافية والتعليمية، ومع ذلك فإنه يتنبه إلى الصراع القائم بين القديم والجديد. إن الصراع مع النظام القديم فكرة بثتها الثورة الفرنسية وأخذ بها المؤلف. وعلى الصعيد العثماني فإن النظام القديم يتمثل بقوات الانكشارية التي تنبغي

(1) Raif، المصدر المذكور الصفحة 4.

(2) نفسه، ص 8.

إزالتها وإحلال قـوات نظامية مكانها. وللتعبـير عن فكرته يقول: «فهل من المسـتغرب أن يصاب الهيكل الـسياسي للدولة العثـمانية ببعض الهزات بعد حقـبة قرنين من الزمن، وأن يحتاج الآن لرجل مناسب يعمل على إصلاحه؛ ألم يظهر من شـبه المستحيل أن يقام خلال وقت قصير عـلاج ناجع لمرض متأصل إلى هذا المدى وكان قد اتسع شـيئًا فـشيئًا». ونلاحظ بـأن المؤلف لا يذكر بالاسم هذا المرض المتأصل منذ قرنين، إلا أنه يفـسر بعد قليل مرماه فـيقول: «لم يكتف صاحب الجلالة السلطانية بإصلاح الأخطاء التي دخلت سابقًـا، ولا بإصلاح مـختلف أقسـام الإدارة، فقـد أراد أن يقيم قوات جديدة منظمة على الطريقة الأوروبية»(1).

إن عرض الإصـلاحات والتنظيمـات الجديدة قـد سيطر على كتـاب محمود رئيف الذي أعـده بالفرنسيـة. وكان يريد بذلك أن يعـرض هذه الإصلاحـات على القـراء الأوروبيين محـاولاً بذلك كسب ثقة الأوروبيين بجدية محاولات سليم الثالث، وهذا ما عبر عنه في مطلع الكتـاب. من ناحـية أخـرى نلاحظ أن فكرة تنظيم المجتـمع كانت تسـيطر على ذهنه. وبالنسـبة له فـإن النظام يعني القضاء على الطرق الفوضوية في الإدارة والمهيمنة على المؤسسات.

وعليه فإن مجرد البدء بهذا الخط الإصلاحي يعني انفتاح خط التغيـير: «وهكذا فإن نقطة من الماء تكفي للإشـارة إلى وجود نهر وتعيين مكان جريانه»(2).

---

(1) نفسه، ص 9.

(2) نفسه، ص 59.

منهج للنقد:

الكاتب الآخر الذي ألّف بالفرنسية كتابًا صغيراً في عهد سليم الثالث كان سيـد مصطفى، الذي لم يزر أي بلد أوروبي في حياته بالرغم من رغبته في ذلك. ومع ذلك فقد تمكن من تعلم الفرنسية في استانبول وبالإمكانيات المتوفرة آنذاك.

سيد مصطفى واحد من أفراد الجيل الجديد الناشئ في ظروف تجربة الإصلاح في نهاية القرن الثامن عشر، وكان واحداً من الذين ضمتـهم المدارس التي أنشأها سليم الثالث التي تقدم تـعليمًا على الطراز الأوروبي. والمعلومـات القليلة المعروفـة عن سيد مـصطفى قدمها بنفسه في مقدمة كتابه الصغير الحجم؛ فقد ولد في استانبول ومال إلى دراسة العلوم والرياضيات مـنذ صغره وتمكن من تحصيل بعض المبادئ العلميـة من خلال تجربته الخاصـة ومن خلال تتلمذه على «كلانبـوي» أحد المدرسين في مـدرسة الهندسـة. ونفهم من خلال المقـدمة بأن سيد مـصطفى قد درّس في مدرسة الرياضـيات وكان من بين المشرفين على تعليم القوات الجديدة. فبعد أن صرف النظر عن القيام برحلة إلى أوروبا يشرح كيـفية انتسابه إلى المدرسة الجديدة، يقـول: «سليم الثالث قرر إنشاء مـدرسة كبيـرة وجديدة للرياضـيات قرب التـرسانة في «صـدليزة». وطبـعًا مـشروع هذه المدرسة خـفف حماسي قليـلاً بالنسبة لفكرة سـفري إلى أوروبا، وفكرة أن استفـيد داخل وطني وأن أكون له مفيدا أيضًـا سحرتني وغلبتني فأجلت السـفر. وقد أنشئت المدرسة وتوافـر لها المعلمون

من هنا فإن السلطان سليـم الثالث عمل على تأسيس مـعاهد جديدة للهندسـة والرياضيات وغيرها، تكون خـارج سلطة وتأثير «المدرسة» التـقليدية؛ ولهذا عـمل على تأسيس مـدينة جديدة في Scutari، تكون مركزًا لمعاهده ومطابعـه وقواته الجديدة بعيداً عن ضغوط القوى التقليدية. ومن هنـا تبلور اتجاهان مختلفان: الاتجاه التقليدي الممـثل بالعلماء والمتحلق حول المدرسـة الدينية، والاتجاه النامي والمتـحلق حول المعـاهد الحديثـة. هذه الازدواجيـة ميـزت الصـراع والتطور خلال عـهـد سليم الثـالث، بشكل أولي، وفي العهـود التي تتالت فيـما بعد. وبالرغم من الـتطور السريع الذي عرفـته المعـاهد المعلمنة، إلا أن «المدرسة» بقـيت فاعلة في الحـياة العثمانية: «.. فلا المدرسة ولا المعـاهد التعليمية التي تخدم ضمن هيمنـة السلطات الدينية لم يتم إلغـاؤها. هذه الثنائية في التـعليم سـتطبع لوقت طويل تطور الأفكار.. وسـتكون الميـزة الرئيـسيـة للحقبة الانتقالية..»[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الطلاب الـذين يدرسون في المعاهد الحديثة ويتلقنون المعارف الأوروبيـة، كان يطلق على الواحد منهم اسم «متفنن»، أمـا «عالم» فقد بقي اسمًا ولـقبًا لكل طالب يتلقى علومه في المدرسـة الدينية[2]. وهذا الاختـلاف يعبـر عن الميدان المخـتلف لكل فريق من هـؤلاء الطلاب. وهذا ما يوضح وجـود

---

(1) Dino, G: La genèse du Roman ture au XIX^{0} Siecle. P. 21.

(2) ADNAN, A: La science chez les tures.. PP. 160-161.

اتجاهين سيتـبلور الصراع بينهما سريعًا خلال القـرن التاسع عشر. و«دخول الأفكار الجديدة لم يتم، وهذا طبيعي، بدون معارضة أو تكييف (مع الواقع) على السواء. وأنصار التقليد ما كانوا ليروا في الأمور التي تأتي من الغرب إلا زندقة وسفالة متفرنسة..»[1] ومع استفـحال الصراع بين المفـاهيم والاتجاهات انفتحت أزمـة شغلت الدولة العثمانية وتركيا لوقت طويل، ويمكن أن نلاحظ مظاهر هذه الأزمة في الحياة الاجتماعية بين الأزياء الأوروبية والأزياء الشرقية. بين الشرع الإسلامي والقانون الفرنسي. وكذلك في الحـياة الثقافية نشأ صراع بين التقليد والتراث الإسلامي وبين المعرفة الأوروبية.

آفاق تجربة سليم الثالث:

انطوت تجربة سليم الثـالث الإصلاحية على نتائـج ثابتة فمن ناحية أكدت أن المحاولات التي تمت على فترات منذ بدايات القرن الثامن عـشر، هي اتجاه قد تكرس قـبل نهاية القرن نفـسه، وذلك باعتماد تحديث المؤسسات العثـمانية، ومن ناحية أخرى أثبت عهد سليم الثـالث أن الانفتـاح على أوروبا وثقافـتهـا أمر لا مفـر منه صعود قوة أوروبا وانتشار أفكار الثورة الفرنسية في أنحاء العالم.

والواقع أن صراعًا قـد تم، ونتيجتـه لم تكن لصالح السلطان ومعـاونيه. فقد قـامت ثورة ضده اندلعت في 15 آيار/ مايو عام 1807 حين رفض «اليامق: Yamak» ارتداء زي القوات النظامية.

(1) Bombaci: A: Histoire de la littérature turque. P. 351.

وخلال أسبوعين لاحقين تعاظمت الدعاية في استامبول ضد سليم الثالث وإصلاحـاته. وأعد قادة الانتفاضـة لائحة بأنصار السلطان من المتحـمسين للإصـلاح والانفتاح على أوروبا ونفـذ بهم حكم الموت. ومع ذلك فقد أمل السلطان أن يحتفظ بعرشه فأعلن «خط شريف» يلغي «النظام الجديد»، لكن مصـير السلطان كان قد تقرر فعزل، ودُعي إلى العرش ابن عمه السلطان عبد الحميد الأول تحت اسم مصطفى الرابع.

أما نهـاية سليم الثالث فقد جـاءت بعد سنة من عزله تقـريبًا حين سار مـصطفى بيرقدار مـع قواته بالإضافـة إلى قوات الوزير جلبي مصطفى باشا لإعادة العمل بـالتنظيمات وإعادة سليم الثالث إلى العرش، فأمر مصطفى الرابع بقتل سليم وقـتل شقيقه محمود أيضًا، ولم تصل قوات البـيرقدار إلى السراي إلا بعـد أن نفذ قتل سليم بصورة بشعة أما محمود فتمكن من الإفلات ليصبح السلطان الجديد.

ومنذ هذا الانقلاب الذي قـتل بنتيجـته سليم الثالث وصـعد على أثره محـمود الثاني إلى العـرش عام 1808 وحتى الانقلاب الدستوري عام 1908، مئة سنة كاملة، كان تأثير الفكر الأوروبي خلالهـا يتأكد بـشكل ثابت، فقد واصل السلطـان محمـود الثاني (1839-1808) مـا كان قـد بدأه سلفـه سليم من قـبل، فأوفـد البعثات إلى أوروبا، وأسس المدارس الحديثة وأصدر ما يشبه إعلانًا لحقوق الإنسـان حين ساوى بين جميع مواطنيـه من جميع الأديان

بدون تمييز: «إن نوايانا هي في أن يكون المسلمون مسلمين في مساجدهم فقط. ومن وجهة نظر نفسها، يكون المسيحيون مسيحيين في كنائسهم.. أريد الاحترام خارج هذه الأماكن لكل المعتقدات، ويحظى الجميع بنفس الحقوق السياسية وبحمايتي الأبوية»(1).

ولا شك بأن من أهم الإنجازات التي حققها السلطان محمود الثاني تتمثل في قضائه على قوات الانكشارية عام 1826، وهو الشيء الذي جُرب مرات متعددة خلال مئتي سنة، منذ عهد عثمان الثاني الذي كان أول سلطان تثور ضد محاولته الإصلاح مما أدى إلى مقتله عام 1623 بدون نتيجة. إلا أن الإصلاحات المهمة التي قام بها وتركت تأثيراً بعيداً كانت تلك التي أقيمت في مجالات التعليم، إذ أوجدت خلال أجيال متعاقبة فئات من المتنورين الذين كان عددهم يتزايد باستمرار. ولم ينتصف القرن التاسع عشر حتى ظهرت صحافة منظمة أخذت عى عاتقها الترويج للأفكار الفرنسية، وجاءت قفزة الصحافة عام 1860، عندما أسست جريدة «ترجمان الأحوال». وبعد ذلك بسنتين أسس إبراهيم شناسي (1826-1871) مجلة «تصويري أفكار». كما أسست في استامبول صحف أخرى باللغات الفرنسية واليونانية والأرمنية، وجميعها صحف منوعة تهتم بالأدب والسياسة. وتجدر الإشارة هنا بنوع خاص إلى الدور الريادي الذي لعبه شناسي، فبعد أن أمضى

(1) KARAL, E. Z: La transfarmation du la turquie. P. 433.

خمس سنوات دراسة في باريس، أخذ على عاتقه مسألة التعريف بالآداب الفرنسية، فترجم في مجلته إشعاراً لـ«لافونتين» و«راسين» و«لامارتين». وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر حصل تطور مهم مع شمس الدين شاني (1850-1904) فكان أول من كتب قصة بالتركية ومن آثاره «تعشقات طلعت وفتنت»[1].

لكن الشخص الذي كان له التأثير الكبير هو نامق كمال (1840-1888) وهو شاعر وكاتب عمل مع شناسي في البداية، ثم تولى بنفسه تحرير مجلة «تصويري أفكار». نفي وسجن عدة مرات وأصدر مع آخرين صحيفة «حريت» سنة 1864، وعمل على نشر أفكار الحرية والوطن التي ستتحول في عصره إلى شعارات سياسية فاعلة: «بفضل نامق كمال وشعره ونثره البليغ والمؤثر انتشرت أفكار الحرية والوطن وصارت تحرك الرأي العام السياسي»[2].

أما الشعر الحديث فقد دخل مع عبد الحق حميد (1851-1937) تلميذ نامق. وقد أحدث حميد ثورة في ميدان الشعر الذي لم يكن حتى ذلك الوقت قد تحرر تمامًا من الأشكال القديمة: «فهذا الشاعر الغزير جداً أدخل إلى التركية الأنواع الغنائية والدراماتيكية، وكانت مؤلفات «دانتى» و«راسين» و«كورنيّ» و«شكسبير» تقدم له النماذج..»[3].

---

(1) انظر تفاصيل في كل من دراسات Dino وBombaci المذكورة أعلاه.

(2) Tansel, F. A: art Kemal. EI^2 Vol 4. PP. 908-912.

(3) Dino: La genèse du Roman.. P. 35.

مع هؤلاء الرواد انفتحت أبواب التأثير الأوروبي على نحو واسع. ودخلت معهم إلى اللغة التركية أساليب الكتابة الحديثة من رواية ومسرح وشعر. والواقع، فإن تطور أساليب التعبير الأدبية كان يؤثر، ويتوازن مع أساليب التعبير السياسي ومع التحولات التي شهدتها الدولة العثمانية على امتداد القرن التاسع عشر(1).

وكما حضَّر فلاسفة الأنوار في القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى عام 1789، كذلك أسهم المتنورون العثمانيون، الذين اعتبروا الثورة الفرنسية مثالاً يحتذى، في التحضير للثورة الدستورية عام 1908؛ التي اعتبرت بالنسبة لمعاصريها الانقلاب الكبير الذي سيغير وجه الدولة العثمانية وينشلها من حالة التدهور إلى مضاهاة الدول الأوروبية(2). والواقع فإن الثورة الدستورية عام 1908 قد غيرت الكثير على مستوى السلطة السياسية في استامبول، وترك هذا التغيير آثاراً على سائر البلاد التابعة للدولة العثمانية آنذاك، خصوصًا لجهة تسرب الأفكار التحررية التي كان

---

(1) لمعرفة تطور الأفكار في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر انظر Berkes، المرجع المذكور سابقًا. انظر أيضًا:

Mardin S: The Genesis of young ottoman thought. Princeton university press 1962.

(2) رأى سليمان البستاني أن مدة 25 سنة لكافية لجعل الدولة العثمانية تتخلص من مشاكلها وتستعيد قوتها، انظر سليمان البستاني: عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده - تحقيق خالد زيادة. دار الطليعة بيروت 1978، ص ص 237 250.

يروج لها زعـماء النظام الجـديد الذين استعـاروا شعـارات الثورة الفرنسية[1] وضربوا عملة جديدة حملـت الشعار التالي: حرية، مساواة، وبـدل كلمة أخوة حلت كلمة عـدالة، بما أن الإسلام هو دين العدل. لكـن التوفيق بين الإسـلام والفكر الأوروبي لم يكن بالأمر السهل. كما أن إعادة مجـد العثمانيين العسكري القديم كان أمرًا مستحـيلاً، فلم تفعل التطورات التي عرفتها الدولة العـثمانية في مطلع القرن العشرين سوى أن عجّلت بنهاية هذه الدولة.

(1) نشر عبـدالمسيح الأنطاكي كتابًا بعنوان نيل الأمـاني في الدستور العثـماني عام 1908 «يضم كل ما يتعلق بالدستور الذي أعلن في 24 تموز/يوليو 1908 مع أقوال الجرائـد العربية والتركـية والأوروبية مع خطب الخطباء.. إلخ» مطـبعة العرب في مصر 1909. ومطالعة هذا الكتاب بما يحتويه من نصوص مختلفة تبين لنا الأثر الذي خلفـه هذا الانقلاب في اتساع دائـرة الجدل حول مـفاهيم مثل حرية وديموقراطية ودستور وغيرها.

خلاصة

* Sybel, H. Von: La propagande révolutionnaire en 1793 et 1794. Revue historique XI (1879).

* Tott, Baron de: Mémoires sur les turcs et les Tartares. Amesterdam 1785, 4 Parties dans un voume.

* Vandal, Albert: Le Pacha Bonneval. Paris Publications du cercle Saint-Simon, No. 1 (1885)

1

■ الملاحـــق ■

1 - جدول التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية 1798

محمود رئيف

1

جدول التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية 1798

توطئـة

بما إني قُـبلت في صبـاي المبكر في عـداد الموظفين في مكاتب **الباب العالي**[1]، شعرت مذّاك بالرغبة التي تدفعني لأن أكون نافعًا لوطني. وقد ثابرت على واجباتي ولم أهملهـا حتى أستحق تقدير رؤسـائي، ولكن من بين جمـيع أقسـام دراستي، فـإن ما جـذب انتبـاهي بالدرجة الأولى هو السـياسة، التي أملتُ من خـلالها أن أنور نفسي وأن أكون مفيدًا ذات يوم للباب العالي.

وبالرغم من مثـابرتي الثابتـة فيهـا، شعرت بـأنني لكي أجد المصادر التي تجعل من الـسهل عليّ استيعـاب المعارف الضرورية، عليّ أن أقـوم برحلة إلى أوروبا وأتعلم لغـة أجنبيـة. أردت ذلك

(1) عبارة معروفة، تشير هنا إلى جهاز الدولة الإداري.

بحرارة، لكن آمالي خابت خلال وقت طويل. ولم يكن ذلك إلا في عام 1208 من الهجرة (1793) بعد أن سميت سكرتير[1] السفارة الأولى العثمانية الدائمة في لندن، فاستعدت الأمل في أن أرى مشاريعي تتحقق.

ولم أتردد لحظة في قبول المهمة التي وجدتها تشرفني، فأعددت نفسي سريعًا لرحلتي هذه. وبما أن الفكرة كانت تملأ كياني فإن اعتنائي الأول كان التزود بكتاب قواعد فرنسية بالإضافة إلى معجم، وأوقفت نفسي على دراسة اللغة الفرنسية التي بكونها عالمية، تستطيع أن تلبي حاجتي.

---

(1) تركنا الكلمة كما وردت في الأصل الفرنسي.

ومـا إن تمكنت من تعلم بعض المبـادئ الأوليـة للغة، حـتى رغبت في أن أعرف بتـعمق اهتمامات حكومـات أوروبا، ففرغت نفسي نهائيًا لدراسة الجغرافيا والتاريخ والسياسة والقانون العام. أما لحظات فـراغي فكنت امـلأها بملاحظة ومعـاينة كل مـا يقع تحت عيني، من ملاحظة النظام المالي للقـوى الأوروبية إلى أوضاع هذه الدول العسكرية، وقواتها البحرية. وبكلمة مختصرة كل مجالات الإدارة الحكومية.

في كل أوربا يجـهل الناس الحـالة الراهنة لقـوات وعـائدات السلطنة العثمانية، ولا يوجد أي كتاب يقـدم مبادئ أولية صحيحة وحقة[1]. ومن هنا يمكن أن أقول إن هذه المحاولة يمكن أن تُقرأ مع بعض الفائدة.

وتحت الرعاية السعيـدة لملكي العادل السلطان سليم الثالث[2] الذي لا يقهـر، وضعت نفـسي في حالة أقدر أن أعـبر بهـا بلغة أجنبية. وهكذا فـإننى مدفوع بشعور الاعتـراف بالجميل قررت أن أقدم باللغة الفرنسية نبذة عن بعض التنظيمات التي قام بها صاحب

---

(1) كلام المؤلف يحمل بعض المبالغة هنا، إذ إن مؤلفات عديدة ظهرت في عواصم أوروبية وخـصوصًا باريس، قبل نهـاية القرن الثامن عـشر، تتناول مظاهر من السياسة والحياة العثمانية التركية. ولعل المؤلف يريد الإشارة بشكل خاص إلى تجربة سليم الثالث التي لم تكن معروفة بما فيه الكفاية عند ظهور الكتاب.

(2) سليم الثالث، سلطان عثماني (1789 1808).

الجلالة. وأوروبا بأسرها ستعترف بحماسه الذي لا ينضب من أجل ازدهار سلطنته. وبنفس الوقت سيُعطى حقه فيما يتعلق بحكمته الفائقة التي تملي عليه أعماله السياسية.

في القسطنطينية أول[1] هلال

محرم 1213

15 حزيران - جون 1798

محمود رئيف

(1) كان العثمانيون يعينون الزمن بأول ومنتصف وآخر الشهر الهجري دون تحديد يوم معين.

مدخـل

الشرائع الأبدية للعناية الإلهية تضمن للسلطنة العثمانية وجوداً دائمًا ورخـاءً باهرًا. وهناك براهين لا تحصى منتـزعة من التقـاليد ومن أنوار العـقل تؤكـد هذه الفكرة المعـزية، ويؤكـدها الرجـال العاقلون وخـصوصًا الذين يملكون معـارف تاريخية[1]. وبالنتيجة فإن المملكة العثمانية كلما واجهت صعوبات في تنظيماتها السياسية فإن الذات الإلهيـة التي تكرمت بالسهر على حفظها، سـرعان ما تعمل على إيجـاد الرجل المناسب الذي بحكمتـه وقدرته يكون له سعادة إعادتها إلى سابق قـوتها. وإنه لمما يدعو إلى الملاحظة أيضاً أن تنظيم الـدولة لم يكن بهـذا الـبـريق والقـوة إلا بعـد بعض التضعضع.

والأمور الإنسـانية هي غـرض لآلاف التبدلات بفـعل تلاحق الزمن. فهل من المستغرب هنا أن يصـاب الجسم السياسي للسلالة العثمانيـة ببعض الضربات بعد حقبة قـرنين من الزمن وأنه بحاجة الآن لرجل مناسب يعـمل على إصـلاحـه؟ أفلم يظهـر من شبـه المستحيل أن يقام خلال وقت قصير علاج ناجح لمرض متأصل إلى هذا المدى كان قد اتسع تدريجيا؟

---

(1) يأخذ المؤلف بالمعـتقد الشائع القـائل بأن القوة العثـمانية لا تقهـر، حول هذا الموضوع انظر: BERKES, N: The Developement of Secularism in turkey Montreal 1964.

ومع هذا فإن ملكنا العادل بفضل الله تعالى هو الخليفة الشرعي للرسول الكريم[1]، ورئيس الأمة الإسلامية، السلطان العثماني الكلي القوة سليم الثالث الذي ليس له من طموح غير أن يجعل شعبه سعيداً، قد فرّغ نفسه، حتى قبل أن يصعد صعوده المظفر إلى العرش، لإيجاد الوسائل الأكثر ملاءمة لإصلاح الأخطاء التي كانت قد تسربت إلى الحكومة. بأسرع ما يمكن من الوقت. وبالكاد صعد إلى عرش أجداده الأجلاء، حتى عمد إلى تطبيق مختلف الوسائل التي أعمل فيها فكره طويلاً، خلال صمت الاعتزال[2]. ونظراته الثاقبة تركزت بشكل خاص على العسكرية، وعلى المالية، وحول كل مراتب الإدارة. وبكلمة مختصرة حول كل ما يؤمّن لشعوبه السعادة التي بإمكانهم أن يأملوها من حكمته العالية.

وما اللمحات التي نقدمها هنا إلا عيّنة من تنظيماته.

---

(1) في الأصل يستخدم المؤلف كلمة Saint.

(2) إشارة إلى السنوات السابقة لصعود سليم الثالث إلى العرش، وكان يعمل بشكل شبه سري لصعوده المتوقع. انظر على سبيل المثال مراسلات سلبم مع لويس السادس عشر قبل استلامه العرش سنوات: Mounir, S: Louis XVI et Le Sultan Selim III Revue d'Histoire Diplomatique 1912.

تنظيم خاص
بشتى فروع العائدات العامة

لم يكتف صاحب الجلالة السلطانية بإصلاح الأخطاء التي تسربت إلى الجيوش والتي عالجها سابقًا. ولا بإصلاح مختلف أقسام الإدارة، فقد أراد أن يقيم جسمًا جديدًا من القوات المنظمة على الطريقة الأوروبية[1]. وبما أن الأوضاع الجديدة تتطلب نفقات جديدة، فقد توجب الاهتمام مباشرة بالوسائل الكفيلة بإيجاد العائدات الجديدة.

وقد تمت تسمية إحدى الشخصيات البارزة في السلطنة لوظيفة **أمين خزانة المشروع الجديد**[2] الذي يشغل أيضًا منصب **مفتش الفرق الجديدة**[3]، وهذا المنصب مستقل عن مناصب موجودة سابقًا، مثل وزير أول للمالية[4] ومراقب النقود[5]. ولإعطاء مزيد من الأهمية لهذه الوظيفة الجديدة، فقد أنيط بصاحبها لقب **وزير المالية الثاني**[6]. وهي من حيث المبدأ واحدة من الوظائف الرئيسية

---

(1) موضوع الكتاب بمجمله هو الإصلاحات العسكرية على الطريقة الأوروبية إلا أن القوات المنظمة على الطريقة الأوروبية المقصودة هي الفيلق الخاص الذي يتحدث عنه المؤلف في نهاية الكتاب.

(2) في الأصل: إيراد جديد دفتر داري.

(3) تعليمي عسكر ناظري.

(4) باش دفتر دار.

(5) درب خانة ناظري.

(6) دفتر داري شاكي ثاني.

في السلطنة والتي تعطى عـادة للذين منحوا أفضـلية الجلوس على الديوان إلى جانب **البـاش دفتـردار** مع الامتـيازات الممنـوحة له كارتداء عباءة تحت شملة حمراء، وأن يكون تحت تصرفه حصان.

وقـد مُنح الوزير الجديـد راتبًا مـحتـرمًـا وألحق به موظفـون وضباط آخرون يتمتعون جـميعهم برواتب مرتفعة. ولديه صندوق خاص تصب فيه عائدات الدولة المخصصة لنفقات الحرب.

وعدا عن العائدات الثابتة للسلطنة، فقد تم التوصل إلى إيجاد وسائل جـديدة للحصـول على مصادر الأمـوال التي كان يفـيدها أشخاص لا يستحقونها، وذلك عـبر قوانين شرعتها الدولة بطريقة إجماعية، هذه الحقوق والفوائد تعود للحكومة بشكل نهائي.

وعلى سبـيل المثال، فإن أحد العائـدات الأكثر أهمية بالـنسبة للدولة هي «**العِشـر**»[1] التي تُفـرض على كل إنتـاج **الأناضـول والروملي**[2]، وسوريا وكل امتداد السلطنة. هذه العشور كانت قد قسمت حسب فئتين، الأولى ألزمت، تحت اسم **المالكانة**[3] للذين يريدون أن يقوموا بأعبائها فتكون لهم التزامًا مدى الحياة، شرط أن يدفعوا مقـدمًا جزءًا من المال[4]. والفئة الثانية أعطيت على شكل

---

(1) كما وردت في الأصل.

(2) الأناضـول اسم يعطى للقـسم الشرقي يـشمل الامـتداد الـتركي الراهن، أمـا الروملي فإشارة إلى الإقليم الغربي الأوربي.

(3) من العربية لغة، وهي نوع من الإقطاع العسكري.

(4) في الأصل (معجلة) من العربية، أي مبلغ من المال يدفع سلفا.

هبة من قبل سلاطيننا، تحت اسم **الزعامات**[1] **والتيمار**[2] وهي **إقطاعات عسكرية**[3]، لفرسان مختلفين. وهؤلاء ليس عليهم أن يدفعوا أي مبالغ مالية، ولكن بالمقابل هم مجبرون على الخدمة أثناء الحروب.

والتشريع الذي أجيز عام 1207 هـ (1792) وضع حدًا لكل الأخطاء التي تسربت إلى نظام المالكانة والزعامات والتيمار. فقد نص هذا التشريع على أن المالكانة التي يتوفى أصحابها، تعود تلقائيًا إلى الدولة. فالملكية التي يتراوح إيرادها بين خمسمئة إلى ألف وخمسمئة قرش تُعرض في المزاد العلني وتُمنح للذي يدفع أكثر من خمسة عشر ألفًا وحتى خمس وعشرين ألفًا، أو مئة ألف وخمسين ألف قرش أو أكثر من لك، والتي تشغر في حال وفاة أصحابها فإنها لا تعرض للبيع ولكنها تعود للخزينة الجديدة التي تتصرف بها كما يحلو لها، وحسب ما تجده مناسبًا.

وقد كانت الجمارك على البضائع في القسطنطينية وكذلك مزارع التبغ في أنحاء السلطنة مقسمة قديمًا إلى عدة أسهم تباع بالمال وكلما أفلست هذه الأعمال كانت تعرض بالمزاد، أما اليوم فإنها لا تباع أبدًا. لأن عائداتها ستصب مباشرة في الصندوق الجديد. وهذا الإصلاح يعطي الدولة مردودا كبيراً.

---

(1) الإقطاع الذي يدر من عشرين ألف أقجة وحتى مئة ألف سنويا.

(2) ما يدر من الفين، وحتى عشرين ألف أقجة سنويا.

(3) في الأصل الفرنسي يستخدم المؤلف تعبير: Fiefs Militaires.

أما مـالكو وأصحاب الزعـامات والتيمـار فقد ألزمـوا بقانون مستعجل بمقتضى **صكوك سلطانية**[1] تلزمهم بالسير إلى الحملات زمن الحـرب، لأن بعض هولاء بدأ يتنـصل من الخـدمـة. هذه المبالغـات والتجاوزات كـانت قد تزايدت بسبب إهمـال الرؤساء، وقد لفت جلالة السلطان انتباهه إليها.

وقد تم بشكل دقـيق في عام 1205 هـ (1789) أي في نهاية الحرب الأخـيرة[2]، مراجـعة دقـيقـة لكل سجلات مـالكي هذه الإقطاعـات، والذين وجـدوا غـير ملـتزمين بالـقاعـدة سُـجلت أسمـاؤهم واعتـبروا متـهمين بالتـخلي عن واجبـاتهم بالرغم من تمتعهم بعائدات كبيـرة. فقد صودرت إقطاعاتهم لمصلحة الصندوق الجـديد وذلك لمعـاقبـة المقـصرين ولإعـطاء المثال للذيـن يهمـون بتقليدهم. وقـد نجحت هذه الطريقة نجاحًا ملحـوظًا. وقد نتجت عن ذلك فائدتان، فمن ناحية ازداد مدخول الخزينة بشكل ملحوظ وكبير، ومن ناحية أخرى تم إنهاض جسم الخيالة[3].

كل هذه الاحـتيـاطات اتخـذت بعد تفـكير ناضج، وقـد تم الإقـرار بأن كل إقطاع يفـرغ من مـالكه في المسـتـقـبل سـيـسلم **للملازمين** ليقـوموا بخدمـته وذلك كي يبـقى جسم الخيـالة قويًا وكاملا بشكل دائم.

---

(1) في الأصل يستخدم المؤلف التعبير التركي المستخدم وهو «براءات» جمع براءة.

(2) بدأت هذه الحرب عام 1787 في عهد السلطان عبدالحميد الأول وانتهت عمليا عام 1792 في عهد سليم الثالث.

(3) الخيالة، أو السباهي.

أما المرضى والعجـائز من أصحاب الملكيات فإنهم يسـتمرون في الاسـتفادة من عـائدات الزعـامات والتـيمار، ولا تعـود هذه الملكيات للدولة إلا في حال وفاتهم.

وهناك، عدا عن الزعـامات والتيـمارات، الملكيات المعـروفة تحت اسم: **داریاغالیمي ومنصـوحات اغلامي** وهي مخصصة في الأصل للقوات البـحرية. وبما أن الوحـدات البحرية قـد وضعت تحت نظام جديد شديد التنظيم، فقد فـصلوا عن جسم الخيالة تبعًا لذلك، واعتبرت هذه المـلكيات شاغرة من مالكيها تـلقائيًا. ولهذا فإن عائداتها ستصب في الصندوق الجديد أيضًا.

وسيطبـق بالنسبة لـلرعايا المسيـحيين في كل أرجـاء السلطنة قانون جديد[1] يحدد بارتين[2] على كل أوقيـة من الخمر، وأربع بارات لنفس الكمية من ماء الحياة، وسائر المشروبات التي تنتج من حقولهم وتسـتخدم في أغراض تجارية. وسيـعفون من هذا الرسم فيما يتعلق بالكمية المعدة لاستهلاكهم المنزلي.

وبما أن صوف الخـراف وجلد الماعـز هي الأغراض التـجارية المربحة كثيرًا فإن أصحابها سيدفعون بارة على كل رأس من الماشية المذكورة.

أما الضريـبة التي تدفع على القطن فقد ألزمت إلـى أشخاص يأخذون رسمًـا على الأوقية. ولأن المزارعين وجدوا أنفسـهم غير

---

(1) القانون الجديد هو تطوير لقوانين كانت موجودة سابقًا.

(2) نوع من النقد العثماني.

قادرين على جباية هذه الرسوم ذات العائدات الضخمة فقد قرروا التخلي عن الالتزام لصالح الصندوق الجديد الذي أقام قانونًا جديدًا يحدد بارة على كل أوقية من القطن غير المغزول وبارتين على الأوقية من القطن المغزول.

كل هذه القوانين مجتمعة تؤمن عائدات مرتفعة جداً وحسب الإحصاء الدقيق الذي تم عام 1212 هـ (1798)[1] فإن عائدات الصندوق الجديد تصل سنويًا إلى مبلغ مقداره اثنان وثلاثون مليون ومائتان وخمسون ألف قرش. مبلغ ينبغي ألا يكف عن الازدياد.

(1) أي سنة تاليف هذا الكتاب.

تنظيم
لتموين الجيوش في العاصمة

لم تكن معسكرات الجيوش العثمانية، في السابق تجد الكمية الكافية من الغذاء. والكمية القليلة المتوافرة لم تكن موزعة بطريقة صحيحة على الإطلاق. ولنقل بصراحة إن الكمية كلها كانت عرضة للنهب فكل واحد يأخذ أكثر بكثير من حاجته واستهلاكه الخاص. ومن ضفاف **الدانوب**[1] وحتى ساحات القتال لم يكن ثمة أي مستودع للمؤن، بالإضافة إلى ذلك فإن استيراد الحبوب إلى العاصمة كان نوعًا من التجارة الخاصة. وفي الوقت الذي كان عدد السكان يزداد من يوم إلى يوم فإن تموين العاصمة، في أغلب السنوات، لم يكن يكفي لكل فصل الشتاء مما يؤدي إلى جعل الناس[2] في حالة العوز.

كل هذه المساوئ لم تكن بعيدة عن نباهة صاحب الجلالة السلطانية، وقد اهتم بشكل جدي بالوسائل الكفيلة بمعالجتها: فقد أمر أولاً ببناء مخازن للحبوب[3] على ضفاف الدانوب وفي الأماكن الأشد خصوبة والأكثر قربًا من مواقع القتال. وبالتالي، فإنه لم يكتف بالمستودعات الموجودة في العاصمة من ذي قبل، فقد أمر أيضا ببناء عدد جديد منها. وقد حدد للخزينة السلطانية

---

(1) نهر الدانوب كان يقع في بعض الأراضي التابعة للدولة العثمانية.

(2) في النص الفرنسي يستخدم Le Peuple وترجمتها الشعب.

(3) الكلمة التركية المستخدمة هي (شونات).

الحاليــة، مبلغ مقــداره اثنا عشــر مليونًا وخمــسمئــة ألف قرش، مخصصة لشراء الحبوب بالســعر الجاري، وذلك لتموين العاصمة، وهذا المبلغ مخصص لهذه الحاجة فقط.

وقد أسند تنفيذ القوانين المختصة بهذه المسألة إلى عناية ضابط ممتاز يحــمل لقب **مــراقب الحبــوب**[1]، وأعطى رتبة **وزير مالــية ثالث**[2]. وله راتب مرتفــع ولكي يكون مرتاحًا فى تــأدية عمله، فقد عُين تحت إمرته عدة موظفين وعــددًا من المأمورين، وجميعهم تدفع أجــورهم بشكل جيــد. ولهــذا الضابط صندوق خــاص فى مكان أمين مبني من حجر في البلاط الأول من السرايا.

وكــان سعــر الحبــوب المحدد من قــبل **أليري**[3] في السابق منخفــضًا جدًا، في كل أنحــاء السلطنة تقريبًــا، بحيث إن المزارع الذي كان مجبرًا على تقديم حبوبه بهــذا السعر يجد نفسه مغبونًا. كذلك فإن **الجباة**[4] ما كانت تفوتهم الوســائل والذرائع ليضغطوا على السكان.

لكن صــاحب الجلالة السلطانيــة المدفوع برغــبة جــذب حبّ رعاياه، قــد ألغى هذا البيع الإكــراهى وأمر بأن تشــترى الحــبوب مستقبلاً بالسعر الجاري.

---

(1) (حبوبات ناظري).

(2) اوتشاغجي دفتر دار.

(3) وتعني الجهة المالية في الحكومة.

(4) يستخدم المؤلف الكلمة التركية (المبدجي).

وهذا التشريع العاقل ولَّد الخير في جبهات القتال وفي العاصمة، وبكلمة مختصرة في كل أنحاء السلطنة[1]. والفلاح خصوصًا لا يكف عن شُكر عاهلٍ عمل على حماية الزراعة وإعطائها الأولوية في الاهتمام.

(1) أمر مبالغ فيه لأن هذه التنظيمات لم تعم فعليا أرجاء السلطنة.

تنظيم
من أجل الانكشارية

الانكشارية كانت دائمًا الجسم العسكري الأكـثر أهمية بالنسبة للسلطنة العثمانية. والخدمات التي أدتها والانتصارات التي حققتها في الأزمنة السـابقة، أي منذ قيـام السلطنة، لا تعـد ولا تحصى. هذه الحقيـقة معروفـة ومعترف بهـا من قبل جميع الذين يـعرفون التاريخ.

وحسب الأنظمة الـتي وضعها السلطان سليـمان القانوني[1]، فإن ثكنات العاصمة وحـدها كانت تضم فيلقًا مكونًا من مائة ألف انكشـاري يعملون بشكل دائم عـلى التدرب في الفن العـسكري. لكن طعم الراحـة تغلَّب على مـا عداه شـيـئًا فـشـيئًـا. وتخلى الانكشـاريون عـن نظامـهم العـسكري القـديم. فكان لا بد من الإصلاح، وكان الناس يدعون الله دائمًـا لولادة أمير يكون جديراً بهذه المهمة.

وكان لعصـرنا الحظ فى رؤية ولادته، السلطان سليم الثالث، الذي أراد تحقـيق الأماني التي سعـى إليها الذين يهـتمون بسـعادة وانتصار السلطنة.

---

(1) سليمان القانوني (1495 1566) السلطان العثماني العـاشر، في عهده بلغت الدولة أوجـها. اشتـهر بتنظيـماته وحـروبه داخل أوروبا الوسطى، ووصلت الجيوش العثمـانية إلى مشارف فيينا في عهده، وأقـام تحالفا مع فرنسوا الأول ملك فرنسا.

وأول اعـتناء بذله العـاهل العـادل، منذ صعـوده المظفـر إلى العرش كان إعـادة المجد السابق لجسم الانكشارية المعـتبر، والذى يرتفع عدد أفراده إن في العاصمـة أو في المقاطعات، إلى أكثر من أربعـمئـة ألف رجل[1]. وأية قـوة لم تكن توفـر في الحوليـات التاريخية كتلة متجانسة تصل إلى مثل هذا العدد. والسلطان سليم المملوء احترامًا لقوانين الانكشارية القديمة أراد أن يعيد تجديدها في مجموعها.

لذا يتـوجب على كل **قـائد لسـلاح الرمـاة**[2]، وكل **ضبـاط الرماة**[3]، الذين تحت إمرتهم عدد كبير من الجنود **والأسطاشي**[4] والسقا[5]، وكلهم انكشاريون يتقاضـون رواتب كبيرة من المال أن يحضروا تدريبات الانكشارية.

وقد كـان **قـائد**[6] الفوج[7] رقم 54 هو الذى يتـرأس هذه التدريبات بصـفته **رئيس التدريـب العسكري**[8]، وله اليوم نفس

---

(1) بالفعل فإن قـوة الحشد العثمانيـة فريدة من نوعها، وهذا ما يفسـر إلى حد ما الانتصارات السريعة على الجيوش الأوروبية الأكثر تنظيمًا ولكن القليلة العدد.

(2) أو التفكنجي باشي.

(3) التفكنجي أو ضباشي.

(4) أسطاشي، والأسطا بمعنى معلم أو خبير.

(5) من العربية، الذي يوزع الماء.

(6) الشوربجي، وفي الأصل الفرنسي كولونيل.

(7) البولوك أو البّلّك.

(8) سار تعلمجي.

المهمـة التي يقوم بها. وفي أوقات التـدريب فإن **رئيس كـتاب**[1] الفوج مع ستة **مأمورين**[2] يحضرون التدريبات الـتي تشارك فيها أربعة **طوابير**[3] دفعة واحدة، والمكان المخصص لذلك يعرف باسم **ساغـرديم محلة** خارج **طوب قابو** التي هي إحدى بوابات المدينة القديمة.

وفي كل سنة، منذ عيد الـقديس جورج في الرابع من أيار - مايو وحتى عـيد القديس ديمتري في السـادس من تشرين الثاني - نوفمبر[4]، يتدرب الانكشاريون على استخدام البنادق، مرتين في الأسبوع، مرة في **سعد أباد** (حقل المياه العذبة) ومرة في **ساغرديم محلة**. وفي الشتاء أيضًا يجب أن يستغلوا كل الأيام المشرقة ليكونوا في أماكن التدريب، وهكذا يكونون دائمًا عاكفين على العمل.

والدولة هي التي تؤمن البارود والرصاص.

وهذه القوانين المتعلقة بالتـدريب تسري على كل الانكشاريين الموجودين في المقـاطعات أيضًـا. فجمـيعهم خـاضعون للتـجنيد حاليًا.

---

(1) الباش كاتب.

(2) اليازجي.

(3) في الأصل أورطة.

(4) من اللافت للانتبـاه أنه يستخدم · المؤلف هذه المناسبات، لعل استـخدامه للفرنسية ومخاطبته للأوروبيين قد أغرته بهذا الاستخدام.

تنظيم
للتزمي الذخائر

هذا الفريـق من القوات ينبغـي أن يعتبـر هو المؤتمن على كل حاجات الذخائر الحربية فى السلطنة.

وسلطاننا العادل، منذ صـعوده المظفر إلى العرش أراد تـوفير جميع مـا تحتاجه **مستـودعات السلاح**[1] بحيث تزود بكل الآلات الضرورية والكافية لما يلبي حاجة ثلاث أو أربع حملات متتابعة.

وفي السابق كان **ملتـزمو الذخـائر**[2] يمشون إلى الحـرب مثل الانكشاريين، وقـد رأى جلالة السلطان أن عـددهم أكثـر من كاف لحراسة مستودعات السلاح الموكلة إلى عنايتهم، لذا أخضعهم، على غرار الانكشاريين، إلى التدريب على السلاح مرتين في الأسبوع.

وهكذا فـإن عـدة طوابير من الانـكشارية وعـدة طوابيـر من الجابجيـة تذهب مرة في السنة إلى **ميدان الميـاه العذبة** أو إلى **داود باشا**[3]، أى باختصار إلى أماكن تنزه جلالة السلطان، وهناك تقوم باستعراضات عسكرية. ويتمتع جـلالته بمشهد التدريبات التي تقوم بها الفرق. ويهتم بأن يزيد من حماس القوات بالتكريم الذي يبذله في حينه[4].

---

(1) جباخانات.

(2) الجابدجية.

(3) مواقع قريبة من العاصمة.

(4) حول مـشاركة السلطـان لجنوده في تدريباتهم من أجل بث الحـماس والتشـجيع راجع سيد مصطفى: نقد المهندس الحالة الفن العسكرية: (الملحق 2).

1

تنظيم لسلاح المدفعية

كانت **المدفعية**[1] على الدوام معتبرة جدًا في هذه الدولة. وقد حققت أقسامها المختلفة، الكثيرة الجدارة أو القليلة الخبرة، انتصارات في المعارك، في البحر كما في البر. والباب العالي الذي عرف هذه الحقيقة أقام قديمًا العديد من فرق المدفعية وتعهدها بالعناية والتدريب، إن في العاصمة أو في مختلف الولايات. ولكن منذ بعض الوقت، فإن مبالغات قد انزلقت إلى هذا السلاح، ويمكن القول إنها فككت النظام الذي عرفته المدفعية السابقة.

وقد عُهد بسلاح المدفعية إلى أناس لا يعرفون شيئًا فى هذا الفن. ومن هنا فإن عدد الرماة المدفعيين الجيدين قد تناقص بشكل واضح.

عدا عن ذلك فإن شكل **بطاريات المدفعية**[2] **والمدافع ذات العيار الصغير**[3]، قد أصبح قديمًا وأصابه الخلل وبالتالي فإن استخدامه قد أصبح شديد الصعوبة.

---

(1) استخدمنا كلمة مدفعية كمعادل Artillerie الفرنسية حسب استخدام المؤلف لهذه الكلمة كمعادل لطوبشي التركية.

(92 البال ياميز.

(3) الشاهي.

وقد أثبتت التجارب العيوب في الشكلين المذكورين، ولم يفت ذلك إدراك صاحب الجلالة الذي انشغل للتو بالوسائل الناجعة للإصلاح بشكل فعَّال، وهذه هى التنظيمات التى أحدثت لإصلاح سلاح المدفعية:

بُنيت ثكنات جديدة بدل القديمة التي تصدعت، وذلك وفق تصميم جديد، مع زيادة في عددها وتحسين كبير في نوعيتها.

وأقيمت مساحات واسعة للتمارين اليومية.

وقد سُمى لمنصب **قائد المدفعية**[1] رجل مسموع الكلمة في مجاله، وأعطي رصيدًا كبيرًا يجعله قادرًا على القيام بأعباء عمله بشرف، إن في زمن السلم أو في زمن الحرب. ولكي يثبت جلالة السلطان إرادته في تحسين سلاح المدفعية، فقد منحه هذا الشرف، كما فعل بالنسبة لملتزمي الذخائر.

ويتمتع قائد المدفعية بنفس المميزات التي يتمتع بها **الجايجي باشي**[2]. ويلبس في أيام الاحتفالات **سراس**[3]، ويسرج حصانه مع **رهط الديوان**[4]، وهذا امتياز خصص فقط لكبار الضباط في السلطنة.

---

(1) طوبشي باشي.

(2) الجايدجي.

(3) فروة مشغولة من قماش مذهّب.

(4) الديوان رهطي، كما في الأصل.

ولجسم المدفعية **ناظر**[1] هو من كبار الأعيان. وقد خُصص له رصيد كبير من المال يجعله قادراً على التصرف ومواجهة كل الإلتزامات.

وهناك أيضًا **كاتب**[2] يملك على قدم المساواة رصيداً كبيراً. أما مهماته فهي توزيع الرواتب وإعداد الجداول المتعلقة بهذا السلاح.

أما إدارة شؤون سلاح المدفعية واختيار الضباط وتسميتهم، والمحافظة على النظام فقد أوكلت إلى العناية المشتركة لكل من قائد المدفعية والناظر.

ولقد أعدت وحدات جديدة، لكل وحدة ضباطها ورماتها أجورهم مدفوعة بشكل جيد. وأعطيت كل وحدة العدد الكافي من المدافع من كافة العيارات.

وعدا عن **الكاركلوكتش**[3] وسائر الضباط، فإن كل مدفع يقوم على خدمته **خبير مدفعي**[4] **ومساعده**[5] وثمانية **أنفار**[6]. ويكون عددهم عشرة رجال.

---

(1) كما في الأصل أي مفتش أو مراقب.

(2) كما في الأصل.

(3) في الأساس هم الذين يعملون في مطبخ السلطان، وهنا بمعنى جنود

(4) طوب اسطاسي.

(5) يمق.

(6) كما في الأصل، أي جنود.

وتتكون قطع الحملات من المدفعين وعشرة رماة. وعلى هؤلاء أن يداوموا باستمرار على الخدمة.

أما ملابس الضباط فمميزة عن بعضها على النحو التالي:

القادة يلبسون في الديوان معطفًا[1] من القماش القرمزي له أكمام واسعة مع إشارتين مطرزتين على الشمال واليمين. ويلبسون في زمن السلم والحرب على السواء سترة[2] من القماش ورداء[3] بأكمام قصيرة. وفوقها معطف[4] من القماش القرمزي أيضًا، هذه هي ملابسهم في جميع الحالات. وتكون السترة من الكتان صيفًا والقطن شتاءً. وقد سمح لهم أن يلبسوا رداءً من القماش المبطن بفراء ذئب الأناضول بدون زركشة[5].

أما **الضباط**[6] **ورافعو الرايات**[7] **ووكيل الصرف**[8] فإنهم يلبسون ثيابًا من القماش الأحمر.

أما المساعدون فإنهم يلبسون بنفس الشكل رداء، من لون الفستق، وسائر الجنود في سلاح المدفعية يلبسون رداء من القماش

---

(1) في الأصل: فراجة.

(2) في الأصل: انتاري.

(3) في الأصل: جبة.

(4) في الأصل: كبوت.

(5) في الأصل: زغرز.

(6) اسطاشي واوضباشي.

(7) البيراقدار.

(8) وكيل خرجي، كما في الأصل.

الأخضر. أما ملابس الرماة فهي من الأزرق السماوي.

وكلهم بغيـر تمييز في الرتب يلبـسون **بوطور**[1] من القماش الأزرق أما القبـعة فهي عبـارة عن طاقية[2] حمراء مـغطاة بقماش أسود مطرز عند الأطراف.

ولم يطرأ أي تبديل على البزات السابقة للخدم، فالرداء الذي يلبسونه والبنطال من القـماش الأزرق السماوي. **قائدهم**[3] يرتدي عمامة من الحرير المخطط بالأحمر.

ولكل الضباط والجنود إشارات مميزة نعرفهم من خلالها. ومن أول نظرة نعرف الفـيلق الذين ينتمون إليـه وفي أي قطعة مدفعـية يخدمون.

وقد وفرت الحكومة لكل ضابط وجندي من جسم المدفعية بزّة كاملة. وعليهم أن يتقيدوا بشروطها في حالة أرادوا تجديدها. وكل واحد منهم يقبض، عدا عن راتبه، ثمن بدلة يناسب رتبته.

وتشـترك خمـسـة فـيالق مـن الضبـاط والجنود يوميًـا في التدريبات، ما عـدا أيام الثلاثاء والجمعة. ويشهـد هذه التدريبات بشكل دوري كل من **المراقب وقائـد المدفـعيـة ورئيـس الكتـاب والوكيل**[4]. والتدريبات العسكرية للقطع الحربية تكون إما بالذخيرة

(1) بنطال ضيق معلق بإبزيم من الركبة وحتى الكاحل.

(2) فاس، في الأصل.

(3) الباش كاركلوكتشي.

(4) الكلمة المستخدمة هي الكاخيا.

الحية أو بدونها. أما التدريبات على المدافع من العيار الصغير وعلى القذائف فإنها تجري دائمًا بالذخيرة الحية. أما في أيام العطل فيتم التدريب داخل الثكنات على تنظيم شؤون الوحدات العسكرية دون القيام بالرمايات.

وقد خصص لسلاح المدفعية عمال لصهر المعادن وجراحون وإطفائيون. أما بشأن رواتب المدفعيين فقد نظمت إلى أقصى حد ممكن في العاصمة وكذلك في الأماكن البعيدة.

وتبعًا لهذه الترتيبات فإن نقل مدفع إلى جهة ما لا يحتاج إلى أكثر من ثلاثة في الصيف أو في الشتاء عند تجهيز حملة عسكرية.

إن تنظيمات السلطان سليم الثالث من أجل سلاح المدفعية تنم عن حكمة حاذقة وستثبت هذه التنظيمات للأجيال القادمة أن العثمانيين لم يشهدوا ملكا له مثل هذه العبقرية العميقة والذي أخذ على عاتقه شأن ازدهار سلطنته.

تنظيم
من أجل صناعة البارود

بما أن الحروب قديمًا كانت تخاض بالسلاح الأبيض، من سيوف ورماح وسهام. فقد أهمل سلاطيننا سلاح المدفعية[1]، وبالتالي أهملوا الاهتمام بصناعة البارود. من جهة أخرى، ولأن السلطنة عاشت فترة طويلة من السلم فإن مهمة **ناظر البارودية**[2]، وهي مهمة تلّزم دوريًا وسنويًا. قد أسندت إلى بعض الأعيان الذين أصابتهم مصاعب مالية ليرفعوا من شأنهم. ولم تكن الميري تُدفع لهم إلا متأخرة لقاء خدماتهم. ولم تكن مصانع البارود في **القسطنطينية** و**غاليبولي** و **سالونيك**[3] تنتج سوى نصف الكمية المطلوبة، وهي فوق ذلك من الصنف الردىء. وعندما نريد أن نضعها موضع الاستعمال، فإنها إما أنها لا تشتعل أبدًا، أو أن القذيفة لا تذهب أكثر من نصف المسافة المقدرة. وقد أمكن التثبت من ذلك بعد تجارب عديدة.

وجلالة السلطان الذي امتدت أنظاره حتى إلى التفاصيل الصغيرة المتعلقة بالإدارة، رأي بألم منذ حرب 1182 هـ (1768)[4]، أن البارود المصنع في بلاده لا يصلح إلا لرشقات في

(1) في الواقع فإن العثمانيين قد استخدموا المدفعية منذ وقت مبكر.

(2) بارود خانه ناظري.

(3) غاليبولي عند مضيق الدردنيل، أما سالونيك فتتبع اليونان حاليًا.

(4) بدأت الحرب مع الروسيا عام 1768 في عهد مصطفى الثالث واستمرت حتى آخر عهده عام 1774.

حالات الابتهاج والاحتفال. وقد أقـر بأنه لتوفير الكمية الضرورية للاسـتخـدام العسكري، لابـد من شراء المادة من الخـارج بسعـر يتراوح بين ستين وسبعين قـرشًا للقنطار الواحد. ومن هذا البارود المستورد فإن كمـية صغيرة هي صالحة للاستعـمال فعليًا، أما باقي الكمـية فـهي من نوعيـة رديئـة أيضًا. يضـاف إلى ذلك صعـوبة الحصول على المادة إلا في حـالتها الخام من مـركّب النيترات التي هي من المركبات الأساسية في صنع البارود. ورغم الحظر المفروض في الدول الخارجـية على تصديـر هذه المادة، فقد أمكن الحـصول على شحنات كاملة. وباختصار، وللحصول على هذا الصنف كان علينا اللجوء من غير تمييز إلى مختلف الجهات. وهكذا فإن جلالة السلطان وقد اقتنع بأن البـارود هو من أهم عناصر الحرب، بل هو روحهـا، فقد أراد إيجـاد العلاج الناجع للتـجاوزات فيـما يخص ذلك.

فـقد ألغى العـرف السـابق الذي كـان يقضي بتـبـديل ناظر البـارودية سنويًا وبشكل دوري، وعين لـهـذه المهـمـة إحـدى الشخـصيات البارزة فـي الدولة ليقوم بأعبـاء المنصب بشكل ثابت ودائم.

وقـد اقتـنع جلالة السـلطان بأن رعـاياه قد تضـرروا بسـبب انخفاض سعر البارود الخام المثبت من قبل بيت المال، لهذا أمر بأن يُدفع السعر مضاعفًا للنوعية الجيدة من البارود.

وعـمل على الإتيـان بخـبـراء فى صناعـة البـارود وصناعـة

المطاحن. وقد وفرّ لمصنع البارود في العاصمة كافة الوسائل والأدوات اللازمة. ويمكن القول إنه قد عمل على تجديده كليًا.

وبما أنه ليس ثمة من ماء جار بالقرب من مصنع البارود في القسطنطينية فقد استخدمت الطواحين التى تدار بواسطة الأحصنة. ولكن بما أن الطواحين التي تعمل بواسطة الماء هي الأفضل بسبب تناسق حركتها، فقد تم إنشاء مصنع للبارود في قرية آزادلي بالقرب من **كوجك تكمادجي** حيث الماء متوافر بكثرة.

ويوجد فى كل من مصنعى البارود فى **القسطنطينية** و**آزادلى** طواحين من ابتكار رجل أرمنى يدعى **أراكل**[1]، وقد انشأها بطريقة فنية وسهلة الاستخدام. ويمكن لها أن تنتج الكمية اللازمة من البارود التي نحتاج لها ومن النوعية الجيدة أيضًا. هذان المصنعان يؤمنان بسهولة فى السنة الواحدة مقدار عشرة آلاف قنطار من البارود، وهو بنفس جودة بارود **انكلترة وهولندا**. ولما كانت الحاجة تصل إلى مقدار ثلاثين إلى أربعين ألف قنطار، فلم يكن علينا سوى مضاعفة عدد الطواحين والعمال. وقد أدى ذلك إلى ازدياد عدد مصانع البارود فى **غاليبولي** و**سالونيك**.

وصاحب الجلالة السلطانية، بفعل مبادئ العدالة وبفضل نوازع كرمه قد ضاعف سعر البارود الخام. وزاد ثلاث مرات رواتب المستخدمين فى مصانع البارود. أما الخبراء الأجانب فإن رواتبهم مرتفعة حقًا، ويتراوح راتب كل واحد منهم بين خمسمئة وألف قرش سنويًا.

---

(1) ARAKEL.

وتشترى جميع الأدوات والمواد الضرورية لهذه المصانع، كالخشب مثلاً، بالسعر الجاري والمتداول، بحيث لا يجد التجار أنفسهم مغبونين إطلاقًا.

يمكن القول بأننا قد توصلنا إلى نقطة من الكمال في هذا المجال، فالأونصة الواحدة من البارود الجديد تساوي في مفعولها مقدار ثمانية أونصات من البارود الجيد الذي كان معروفًا سابقًا. كذلك فإننا لم نعد في حالة الاحتياج إلى أن نهرع إلى الأجنبي، فمستودعاتنا تتوافر فيها كمية كافية من البارود. ويمكننا أن نوفر منها الكثير للأفواج العسكرية ولمواقعنا الحربية. ويمكننا أيضًا أن نمد باللازم منها عدة حملات حربية، حتى أننا بدأنا ننتج كميات بطريقة منتظمة.

هذه هي مجموعة الإصلاحات التي نتجت عن العناية بتحسين هذه المؤسسة. وهذا سبب جديد لاعتراف الشعب بالفضل تجاه سلطانه العادل.

تنظيم
من أجل العربجية

يمكن اعتبار **العربجية**[1] كمساعدين **للمدفعية**، ولهذا السبب فإن تنظيماتهم هي نفسها تقريبًا.

كانت ثكنات العربجية موجودة سابقًا في حي من أحياء القسطنطينية بالقرب من **أهور قابو**. وقد وُجد أن عليهم أن يكونوا قريبين من ثكنات المدفعية، ولهذا السبب تم بناء ثكنة خاصة منفصلة في **طوب خانة** بالقرب من ثكنة المدفعية، بالإضافة إلى بناء مصانع لأدواتهم وإقامة اسطبلات لخيولهم.

ولهذا الجسم **قائد**[2] له أجر مرتفع جدًا. أما **ناظر** العربجية فهو نفسه ناظر المدفعية، ولهم في نفس الوقت **كاتب** واحد. أما إدارة أمور الجسم واختيار وتسمية الضباط، وحفظ النظام بشكل تام، فإنها موكلة للعناية المشتركة لكل من **الأغا**[3] **والناظر** في نفس الوقت.

وقد تم تكوين طوابير جديدة من العربجية، لكل طابور ضابطه وأنفاره الخاصون به. كما تم تعيين ضابط مع خمسة من العربجية لخدمة مربض كل مدفع ولكل صندوق تموين.

---

(1) أي سلاح العربات، والعربجي هو سائق العربة.

(2) عربجي باشي.

(3) ربما المقصود هو القائد.

أما ملابس ضباط وأنفار جسم العربجية فمميزة:

يلبس **القادة**[1] أيام الاحتفالات معطفًا من القماش الأحمر. أما في الأيام العادية، إن في زمن السلم أو في زمن الحرب، فإنهم يلبسون سترة من القماش ومعطفًا قرمزيًا. ولكن السترة التي يرتدونها تكون من الكتان صيفًا، كما هي الحال بالنسبة لقادة المدفعية، وقد سمح لهم بارتداء رداء من القماش المبطن بفراء الذئب الأناضولي في الشتاء.

أما **الأسطاشي**[2] **والأضباشي**[3] **والبيرقدار**[4] **والوكيل خرجي**[5]، فيلبسون **سرهدلي**[6] من الجوخ البنفسجي. أما **الخلفاء**[7] فيلبسون **نمتن**[8] من الجوخ الأخضر، والأنفار من الجوخ الأزرق. وجميعهم يلبسون البنطال الأزرق. ولم يتبدل رداء **القار كلوكتشي** فيرتدون **نيمتن** من الجوخ لونه شبيه بلون القهوة المحرقة، والبنطال من اللون الأزرق.

---

(1) شوربجية العربجية.

(2) دردت سابقا.

(3) ضباط الفرق.

(4) رافع الراية.

(5) وردت سابقا بمعنى المعتمد المالي الذي يتولى بشؤون الصرف.

(6) نوع من السترة.

(7) من العربية خلفاء جمع خليفة بمعنى مساعد أو نائب.

(8) نوع من اللباس.

أما **أنفار خلفا** العربجية فيتـشابهون ولا يختلفون عن **الطوب اسطاشي** أبدًا. ويحمل **خلفا** العربجية بالإضافة إلى شارة الطابور الذي يتبعون أيضًا وكذلك الأمـر بالنسبة للأنفار أيضًا بحيث يمكن تمييزهم من أول نظرة.

وقد قدمت الميـري للعربجية البزة العـسكرية الجديدة، وينبغي أن تكون هي النموذج إذا أرادوا تجديدها، وسـيكون لهم مبلغ من المال لهذا الغرض.

ويلتحق ضـباط وجنود العـربجية بسـلاح المدفعيـة في أماكن التدريب ويحضر هذه التـدريبات كل من العربجي باشي والكاتب والكاخيا، وكاخيا العربجية كل بدوره.

وفي الأيام التي لا يذهب فيها الضـباط إلى مواقع التدريب، فـإنهم يداومون فـي الثكنات حيث يـكون عليهم الاهـتمـام بنقل المدافع حين تدعـو الحـاجة إلى ذلك وإصـلاح المرابض والاعـتناء بالأحصنة.

وألحق بجسم العربجية نجارون وحدادون وحوذيون.

كل هذه التنظيمات التي وضعت موضع التنفيذ كفيلة بأن تنال إعجاب سلطاننا العادل الذي هو مؤسسها.

تنظيم
من أجل خيالة المدفعية والعربجية

كل طابور في سلاح المدفعية مخصص لخدمة عدد معين من المدافع وتلحق بكل طابور قطعة من المدفعية يترأسها **ضابط على حصان**[1].

ويأمر هذا الضابط عدداً من الجنود التابعين له، ومهمتهم في زمن الحرب العناية بالمدافع وكل ما يحتاج إليه المدفع، وكذلك المشاركة مع سائر جنود المدفعية حتى في المواقع التي لا يمكن للأحصنة أن تقوم بجر المدافع.

ونفس الترتيبات أعدت للعربجية الذين يقومون بعملهم على أحصنة أيضاً.

---

(1) (ساردان غوتدي طوبشلاري) حسب التعبير التركي.

تنظيم
لحفظ النظام إبان الحملات
التي تقوم بها المدفعية والعربجية

حين يتعلق الأمر بإقامة حملة في مكان ما، بواسطة المدفعية والعربجية بشكل مشترك. يكون من الضروري التفكير بوسائل تموينهم أثناء السير إلى الحملة. وهذه المهمة تكون من اختصاص المولجين بالطعام ومتسلمي النفقات في كل طابور.

ويسير أربعة أنفار إلى يمين المدفع وأربعة آخرون إلى يساره بالإضافة إلى مساعديهم.

وكل قطعة حربية يسير إلى يمينها خمسة أنفار، ومثلهم إلى اليسار. ويتبع ذلك عربة التموين مع الأنفار المولجين بقيادتها.

ويسير **البيرقدار والأوضباشي والوكيل خرجي** في المقدمة. ويسير **الشوربجي** وراءهم. أما العربجيون فلا ينفصلون إطلاقًا عن المدفعيين.

وحين يستدعي الأمر التوقف في استراحة، فإن الجميع يتوقفون دفعة واحدة، وبكلمة مختصرة فإن حركتهم ينبغي أن تكون متواقتة. وهمهم أن لا يتباعدوا بعضهم عن بعض.

وعند خروجهم من العاصمة عليهم أن يضعوا جميع معاطفهم في الحقائب ولا يستخدمونها إلا عند دخولهم في المدن والقرى التي يمرون بها.

وتنطبق هذه التنظيمات على كل من سلاح العربجية والمدفعية على السواء.

تنظيم
لسلاح القوات القاصفة

في كل الأوقات السابقة من تاريخ الدولة، فإن **القوات القاصفة**[1] قد أحيطت بعناية داخل الجيوش فى السلطنة العثمانية كسلاح يستحق الاهتمام الخاص. لذا فإن عدداً من القاصفين قد دربوا بواسطة خبراء في الرياضيات محترمين[2]، ورماة مؤهلين مست إليهم الحاجة الشديدة إبان الحروب ليستخدموا بنجاح أفواه النار. لذا فإن الباب العالى كان قد جمع عدداً منهم وأعطاهم أجوراً ثابتة. عدا عن أولئك الذين كانوا يعملون في خدمة **التيمار والزعامات**[3] ولكن هذه التنظيمات لم تراعَ أبداً في السابق، لأن التجاوزات قد تسربت إلى هذا السلاح كما تسربت إلى سلاح المدفعية. فلم يعد هناك إلا العدد الضئيل من المدفعيين الصالحين. لأن المسؤوليات سُلمت لأشخاص لم يكونوا أبداً في حالة تمكنهم من القيام بواجباتهم ويصعب عليهم استخدام المدافع ومرابض القاذفات القديمة.

وبسبب ندرة القاذفين المهرة، واستحالة الاستفادة من المدافع حسب صنعها القديم. فإن الضرورة أملتْ على صاحب الجلالة أن

---

(1) في الفرنسية Les Bombardiers وبالتركية قمبرجي.

(2) أى خبراء أجانب، فرنسيون في أغلبهم.

(3) نوعان من الإقطاع العسكري.

يسن تنظيمًا خـاصًا لهذا السلاح ويوفر له قاصـفين ومرابض أكثر سهولة عند الاستعمال.

ونتيجة لذلك أنشأت الدولة على حـسابها الخاص ثكنة واسعة من عدة مبانٍ في **صيـدلدجة** فى مرفأ **القسطنـطينية**. والحق بكل مـبنى مطبخ ومربط للخـيل. وهذه المبـاني مخـصصـة للضبـاط والمدفعيين الموجين بخدمة المرابض. وفـي هذه الثكنة يوجد مسجد وافران لإعداد القنابل ومدرسة للرياضيـات، كما توجد عدة أماكن للتدريبات الحية على السلاح، بالإضـافة إلى مخازن لحفظ الأعتدة الضرورية[1].

وأعدت لهذا السلاح تنظيـمات أوكل تنفيذها لعناية **ناظر**، تم اختيـاره من بين كبار ضباط السلطنة. عـدا عن ذلك فإن صاحب الجلالة السلطانية الذي يعود إليـه الفضل في إعداد هذه التنظيمات الرشيدة، وبفـضل نشاطه الذي لا يكل، خصوصًـا إذا كان الأمر يتعلق بمسائل تؤدي إلى منفعة السلطنة. قد أسند بشكل خاص إلى صـاحب السـعـادة **الريس أفندى**[2]، الذي هو حـاليًـا **عـاطف أفندي**[3] مهمـة ضبط المواد المتعلقة بهذا السـلاح، وسلاح الألغام الذي سنتحدث عنه في الفقرة اللاحقة.

(1) بشكل عـام فإن القـوات الجـديدة كانت تـوضع بمنأى عن القوات الـتقليـدية لحمايتها.

(2) أى وزير الخـارجيـة حسب التـعبير الراهن، وكـان يعرف أيضًـا باسم رئيس الكتاب.

(3) عاطف أفندي احتل المنصب بين عام 1798 1799.

وقد سُمى قـائدًا لهذا السلاح[1] رجل معـروف باستقامـته، خُصص له راتب سنوي مرتفع يُدفع من الخـزينة العامة. وقد ألحق به **كاخيا**[2] **وكاتب**[3]. كذلك لم يفت الانتباه بتخصيص رواتب مرتفعة لكل ضباط وجنود هذا السلاح.

ويُلحق بخدمـة كل بطارية خمسـة عشر رجلاً: عـشرة منهم قاصفون والخمـسة المتبقون **ملازمون**. ومن بين العشرة القاصفين واحد برتبة **ملازم أول**، والتسعة المتبـقون لهم صفة **المساعدين**. ومجـموع الملـحقين بخـمس بطاريات لهم قائد برتـبة **مقـدم**[4]، متدرب في مجاله وجدير بحـفظ النظام. ولكل مدفع شارة خاصة تميزه، ويحمل الرجال الموكلون بخـدمته الشارة ذاتها وتقدم الدولة مجانا بزة نظامية كل سنة، وهذه البـزة لا تتغير. أما بزّة الملازمين مختلفة عن بزة القاصـفين، وهي مميزة أيضا عن البزة التي يرتديها التابعون لسلاح الألغام بشريطة أن توضع على الرأس.

وحين يتـوجب إرسـال بطاريـة إلى مكان مـا، فـإن على القـاصفين الموكلين بـخدمـة هذه البطارية أن يحـملوا معـهم كل الذخائر وعليهم أن يداوموا على عملهم.

وبما أن العمل الذي يترتب على خـدمة البطاريات يشمل على

---

(1) قمبرجي باشي، بالتركية.

(2) هنا بمعنى وكيل مالي.

(3) بمعنى أمين سر

(4) باشي خلفا.

عدة أقسـام من الفن العسكري الذي لا يمكن إتقانه إلا بعـد خبرة طويلة، فقد سُن قانـون ينص على التدريب اليومي إبان السلم في الصيـف، وعلى جميـع الأنفار مع ضـباطهم أن يشـاركوا فـيه، بحسب الدور، فيـتدربون على القصف، وعلى مهاجمـة الحصون والاستحكامات وعلى اتقان رمي القنابل.

وتنص تنظيـمـات صاحب الجـلالة السلطانـية على ضـرورة الدراسة، وبمقتـضى ذلك فإن كل التابعين لهذا السـلاح من قدماء وجدد، الذين يملكون إقطاعات عـسكرية وكذلك الذين لهم راتب يومي[1]، يذهبون كل الأيام، ما عدا يومي الجـمعة والثلاثاء، مع ملازمـيهم وضبـاطهم إلى مدرسة الرياضـيات[2] ليتـعلموا هناك الفنون التي تتوجب عليهم معرفـتها لضرورتها لهم. وفي الصيف يتمـرنون أيضا على إتقان التـدريبات، من خلال مداومـتهم على الأمـاكن المخصـصـة للتـدريب وفي الشـتاء فـإنهم يتـدربون في ثكناتهم.

وعلى الكاتب الملحق بالسلاح أن يعد تقـريرا بالواجبات التي على القاصـفين القيام بها، وكـذلك الملازمين مع ضباطهم، تبـعا للأنظمة القـديمة أو الجديدة. ويقرأ عليـهم التقرير مرة كل شـهر،

(1) أي التابعون للنظام القديم والتابعون للنظام العسكري الجديد.

(2) أسست مدرسة الرياضـيات للمرة الأولى عام 1773 في عهد مصطفى الثالث واستمـرت في عهد عبدالحميد الأول. وقـد أشرف عليها الضـابط الفرنسي البـارون دو توت. وقد أعـاد العمل بهـذه المدرسـة السلطان سليم بعد عـام 1792. وكانت برامج التعليم تستمر فيها أربع سنوات.

ويأمـرهم أن يطبقـوا بنوده بحـذافـيرها. هذه هي إرادة صـاحب الجلالة السلطانية المعبر عنها بوضوح في هذا القانون.

ويمكننا أن نشـيـد بأنفـسنا قائـلين، إنه تحت الرعـاية الخيـرة لصاحب الجلالة السلطانية سيكون لسلاح القاصفين حضور لامع، وسينجز يومًا بعد يوم تقدمًا مطردًا في كل فن الرماية.

تنظيم
خاص بسلاح الألغام

تنص القوانين المعدَّة **لسلاح الألغام**[1] على ضرورة دراسة الرياضيات وكل المسائل المتعلقة بفن الألغام. وتنص هذه القوانين أيضًا على أن الأماكن الشاغرة لا يمكن أن تعطى إلا للأشخاص المؤهلين لذلك، بما يملكونه من مؤهلات مكتسبة. وبما أن التنظيم السابق لهذه المؤسسات قد امتهن وبما أن الإرادة الأكيدة لصاحب الجلالة السلطانية تقضي بإعادة العمل في هذه المؤسسات مباشرة، فقد تم إقرار التنظيمات التالية لهذا السلاح:

بُني لسلاح الألغام مجمعان داخل ثكنة المدفعية، وسيقسم سلاح الألغام في المستقبل إلى فئتين، الأولى تهتم بكل الأقسام المتعلقة بفن الألغام والثانية ستهتم بالهندسة وبكل الفروع التي تتصل بالفن العسكري. والضابط المكلف بتطبيق التنظيمات لسلاح القاصفين يكلف أيضًا بتطبيق التنظيمات المختلفة التي أحدثت لسلاح الألغام. وكذلك فإن كاتبًا واحدًا يقوم بالخدمة في السلاحين.

وعُين لمنصب **قائد سلاح الألغام**[2] أحد الضباط المشهود لهم بالخبرة وأعطي راتب مرتفع. ولهذا السلاح أيضًا معتمد مالي له

---

(1) اللغمجية في التركية.

(2) لغمجي باشي.

راتب مرتفع كما بالنسبة لجميع أفراد وضباط سلاح الألغام. وهؤلاء جميعًا يضعون على الرأس تميزهم عن أفراد سلاح القاصفين.

وتوفر الدولة كل أدوات دراسة الرياضيات في المدرسة التي أنشئت حديثًا بالقرب من الثكنات. وقد سمي لها **مدرس**[1] و **خلفا**، وحدد لكل منهم راتب مناسب. ومهمتهم تعليم القاصفين رمي القنابل وكل الأمور المتعلقة بذلك، وتعليم أفراد سلاح الألغام كافة المسائل النظرية والتطبيقية. وإعطاد دروس في فن بناء التحصينات. وإقامة بطاريات المدافع وبناء الاستحكامات وتشييد الأبراج. ومن واجباتهم أيضًا إدارة العمل أثناء صنع كافة العربات الضرورية، وبناء الطوافات، وأخيرًا، تأليف كتب لتدريس مختلف أجزاء الرياضيات لفائدة أولئك الذين عليهم أن يتلقنوها.

وتبعًا لأوامر صاحب الجلالة السلطانية فإن على جميع أفراد سلاح الألغام القدماء والجدد، الذيي يملكون إقطاعات عسكرية، بالإضافة إلى المرشحين لرتبة ضابط والملحقين بمدرسة الرياضيات أن يداوموا في جميع الأيام، ما عدا الثلاثاء والجمعة وأيام العطل كل بحسب دوره ليتابعوا بنشاط الاهتمام بالأدوات المخصصة لهم. وهناك يتعلمون رسم الخرائط، وتصميم نماذج من الخشب ومن الجص. والتصاميم الجيدة التنفيذ ترسل إلى الباب العالى لتعرض على صاحب السمو الوزير.

---

(1) خوجا في التركية حسب استخدام المؤلف.

وفي الصيف يتدربون على تفجير الألغام واقتحام التحصينات وبناء المعسكرات.

وتتم مراجعة لكل الدروس مرة كل ستة أشهر، ويجري امتحان ترفع نتيجته إلى صاحب السمو الوزير.

ويعد الكاتب تقريراً حول الواجبات التي على أفراد هذا السلام أن يقوموا بها، وكذلك الأمر بشأن واجبات الضباط ومرشحي الضباط. ويقرأ التقرير والتعليمات أمام الجميع ويأمرهم بضرورة الالتزام بها بشكل صارم.

هذه التنظيمات التي سُلم دستورها لسلاح الألغام، إذا نفذت مع كل الدقة المكتسبة خلال التدريب لابد أن تقدم للسلطنة طاقم جدير. وهذا الفضل الجديد نعزوه للهمة اليقظة لصاحب الجلالة السلطانية، وكذلك فإن جميع هيئات الدولة ستجدد أمانيها بتحقيق السعادة لعهد سلطنته وهناء شخصه الرفيع.

تنظيم للقيادة البحرية

استحوذ سلاح البحرية دائمًا على اهتمام الباب العالى كأحد الأقسام الأكثر أهمية لإدارة الدولة. ولهذا السلاح فائدته وخصوصًا في زمن الحرب. وقد كان سلاح البحرية جديراً ومرهوبًا، ولكنه أصيب بالانتكاس.

فالقادة لا يتلقون من حيث المبدأ إلا راتبًا سنويًا[1]، ومع ذلك فإن القادة الرئيسيين يحصلون على تعويضات أكبر بكثير من رواتبهم. منذ وقت طويل عُهد بقيادة السفن إلى أشخاص لا يملكون أية كفاءات. ويمكننا القول إن المناصب قد عرضت في المزاد. والذين هم على شيء من الغنى كانوا يحصلون على قيادة السفن وينشغلون، بادىء ذي بدء، في طرق استرجاع أموالهم. ويعملون فيما بعد في سبيل الإفادة على حساب المؤن والذخائر المخصصة للسفينة، كذلك على حساب أجور الطواقم التي كانوا يخفضون مقاديرها حسب ما يحلو لهم. **ويمكن أن نستخلص من كل هذا أن الدولة التي كانت تحمل أعباء تسميتهم قادة، دون أن تكسب أي فائدة من سلاحها البحري الذي كان يكلف مقادير طائلة من المال.**

---

(1) سالیانة في التركية.

هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإن [illegible] ردية للغاية. فقالب صنع السفن كان سيئا للغاية في [illegible] فالسفن كانت متسعة في العرض، ولكنها غير ممتدة في الطول [illegible] هنا صعوبة وصل حبل الشراع. فتبقى السفينة تحت ريح الأعدا، ورحمتهم. عدا عن ذلك فإن عدم التناسب في عتادها يجعلها صعبة القيادة والاستعمال. وهذه المساوئ جدية للغاية ولا يمكن المجادلة في صحتها.

وصاحب الجلالة سلطاننا العادل، المقتنع بضرورة إجراء الإصلاح، أراد عن حق منذ صعوده إلى العرش أن يهتم بسلاح البحرية. مع غيرته لكل خير يعود بالنفع على شعبه ليضمن لرعاياه السعادة التي نعموا بها تحت ظله. وهذا الإصلاح الحكيم قد نفذ خلال وقت قصير وكان يُخشى القيام به. ومنذ قيام المملكة فإن البحرية لم تر مطلقًا مثل هذا النظام اللامع.

ومنذ اللحظة التي سُمي صاحب السعادة **حسين باشا**[1] لرتبة **قبودان باشا**[2]، فقد كرس كل وقته بنشاط لا يتعب للعمل في كل الأقسام التابعة للبحرية، لحرصه على تحقيق رغبة السلطان الذي شرفه بالثقة التي منحه إياها.

---

(1) حسين باشا (1758! 1803!) شقيق ثدي للسلطان سليم الثالث، وأحد أعوانه المخلصين. عينه السلطان قبودانًا أو أميرًا للبحرية وتزوج في نفس السنة ابنة السلطان السابق عبدالحميد الأول وهي ابنة عم سليم الثالث. بقي في منصبه حوالي 12 سنة عمل خلالها على تجديد سلاح البحر العثماني، وقاد حملة عثمانية ضد الفراصنة في المتوسط. مات بعد مرض قصير عام 1803!

(2) أي ما يعادل وزير بحرية أو أمير البحر.

وقد صُنعت كل السفن للتوّ في درجات وقد أجرى امتحانًا عامًا لكل القادة، واحتفظ بأولئك الذين أظهروا كفاءات أما أولئك الذين وجدوا بدون مهمات، فقد جندوا حسب درجاتهم بصفة ملازمين[1].

وقد نصت القوانين الجديدة على أن قائد السفينة لا يمكن تبديله أو تجريده من رتبته بدون جريمة واضحة، ويمكن أن يعفى من كل علاوة. وبما أن راتب القائد كان قليلاً، فقد حدد القبودان باشا زيادات تتناسب مع رتبة وجدارة كل قائد، وكل ملازم. وكذلك فإن العاجزين الذين مازالوا في الخدمة أو الذين تركوها، فسيكون لكل واحد منهم راتب مرتفع.

وقد نظمت طريقة تسمية الأشخاص للمناصب الشاغرة في القيادة، وحددت نوعية العقوبات التى ستحل بالمدنيين.

على القبطان أن يلزم السفينة التي يقودها ولا يغادرها أثناء الحملات. وحين يكون معفيًا من أي مهمة محددة عليه ألا يبرح العاصمة. كذلك عليه أن يواصل السهر على خدمة كل ما يلزم السفينة.

أما أولئك الذين لديهم مهمات محددة وليسوا فى إجازة، فعليهم أن يبقوا على متن سفنهم مع مساعديهم المأجورين[2]، للمراقبة والسهر على السفينة والعتاد والمؤن. ويعدّ تقريرا مفصلا

---

(1) أي مساعدين للضباط.

(2) (القادغلي) في التركية.

عن العتاد وحالة طاقم السفينة أثناء العمل. ويحتفظ القائد بنسخة عن التقرير بينما يحتفظ **قبطان المرفأ**[1] بنسخة أخرى. كما يصار إلى التحقق بعناية من حالة العتاد والمؤن، من حيث النوعية والكمية، ويسجل بدقة كل ما استهلك منها أو تعرض للتلف.

ويؤمن الغذاء بالكمية الضرورية لكل السفن التي هي في حالة العمل، مع مراعاة قواعد التوفير الحكيمة.

ويتم اختيار **رئيس المرفأ** من بين القادة الذين هم في الخدمة. ويكون رجلاً مشهوداً بالجدارة في قيادة البحرية، وتكون له الخبرة والمعرفة الضرورية في تسليح السفن. كذلك ينبغي أن يكون من المشهود لهم بالنزاهة ومن الذين يحسنون القادة والكتابة.

وتصرف الاعتمادات المالية في القيادة البحرية بعلم المعتمد المالي للقيادة البحرية[2]. وبعلم وموافقة **رئيس المرفأ** المذكور سابقًا. ومثالاً على ذلك، حين يعلن أحد قادة السفن أن حبلاً في سفينة قد تلف، فإن المعتمد المالي وقبطان المرفأ هما اللذان يجريان الكشف ويتحققان من ذلك فإذا تلف الحبل فعلاً يتم استبداله. وبنفس الطريقة، حين تنفد بعض المواد بفعل الاستهلاك يتم إعلام قبطان المرفأ بذلك فيرفع تقريره إلى المعتمد المالي. هذان الضابطان المسؤولان عليهما أن يعملا معًا بشكل دائم، ونتيجة للتقرير الذي يعدانه تؤمن الكمية الضرورية من العتاد والمؤن والحبال.

---

(1) ليمان رئيسي بالتركية.

(2) ترسانة أميني بالتركية.

وإذا تعرضت إحدى السفن خلال الإبحار لتعاسة انقطاع حبلها وخسارة بعض العتاد والمؤن بسبب الطقس العاطل والعواصف، فإن قائد هذه السفينة عند عودته، يُظهر ما تبقى لديه من حبال وعتاد لقبطان المرفأ والمعتمد المالي، وبعد التحقيق الذي يجريه هذان الضابطان يتم تعويضه عن خسارته.

وفي حالة أن البحر قد لفظ هذه الحبال والمؤن التي فقدت، فإنها لا تعوض إلا بحضور الشهود وهم الضابط **الرئيس العمليات**[1]، **والقبطان المعاون**[2] وبحضور عدد آخر من المساعدين، وإذا انكروا الحقيقة فإنهم يعاقبون جميعًا تبعًا للمعلومات التي أخذت من الطاقم.

ويتحقق المعتمد المالى وقبطان المرفأ من حالة الحبال والعتاد والمؤن في كل سفينة.

وحين يتعلق الأمر بتغيير شراع سفينة، فإن الضابطين المذكورين يحسبان كمية القماش اللازمة لتبديل الشراع، ويكون عليهما تأمينها وبعد أن يتم نصب الشراع يعود الضابطان ذاتهما للتحقق من ذلك. وإذا كانت كمية القماش التي وفرت للسفينة لم تستخدم بشكل نزيه وأمين، فإن قائد السفينة هو الذي يكون مسؤولا.

وتحفظ الأشرعة والحبال والعتاد التابعة للسفن والسفرقاطات

---

(1) أو قبطان العمليات، أي الباش رئيسي.

(2) الاكترجي.

بعناية فائقة في عنابر القيادة البحرية. ولمنع الوقوع في الخطأ يصار إلى الكتابة بخط بارز على عتاد كل سفينة وفرقاطة لتمييزها عن غيرها.

وعدا عن الطاقم، فإن المساعدين المأجورين وضباط السفن، يداومون في عملهم صيفًا وشتاءً، أما رواتبهم فتزداد تبعًا لدرجاتهم. وقد سويت مسألة ملء المراكز الشاغرة، وكذلك مسألة تقاعد العجزة. وفي الحالتين فإن أهلية كل شخص هي التي تحدد الوظيفة التي سيشغلها أو الراتب التقاعدي الذي سيتقاضاه.

يحتاج الجسر وكذلك السطح في كل سفينة إلى خدمة واعتناء شديدين، وخصوصًا أثناء المهمات والعمل، ومع ذلك فإن سفننا التي كانت تخرج في السنوات السابقة في حملات كانت سطوحها مُعاقة ببراميل الماء والصناديق وأشياء أخرى، مما كان يتطلب ساعتين على الأقل لتخليصها وإخراج المدفع ووضعه قيد العمل، بالإضافة إلى ذلك، فإن الدولة كانت تؤمن الغذاء لطواقم السفن لمدة ستة أشهر مقدما، وكانت الكمية تعطى لهم ليعتنوا بها بأنفسهم. وكان الخدم المالطيون الذين يشغلون مهام الخدمة في المطابخ يشعلون النار في ثلاثين أو أربعين مكانًا مختلفًا في السفينة، ولإصلاح هذه الأخطاء سيصار إلى تحديد مكان لمطبخ جيد وواسع في كل سفينة. ولم تعد الطواقم هي المكلفة بإيداع المؤن الغذائية التي تؤمنها الدولة لهم. بل سيوزع البيلاف[1]

(1) نوع من الطعام يشتمل على أرز ولحم.

للعشـاء أيام الجمـعة والاثنين، وسـيوزع **الحسـاء**[1] في بقية أيام الأسبوع. وتقدم السلطة مع الزيتـون للفطور. ونستخلص من هذا التدبير أن السفينة ستكون أقـل ارتباكًا لجهة العمل، ولن تكون في أية حالة معرضة للاشتعال من النار المنتشرة فى كل الجهات.

كانت الدولة قد حـددت سعرًا منخفضًا جـدًا للحاجات التي يؤمنها المعتمدون الماليون للبـوارج البحرية، وهذا السعر لا يساوي قيمة الأشياء ولكي لا يتضرر المعـتمدون سيصار إلى ترتيب جديد يرفع بموجبه المعتمـدون طلباتهم من الحاجات التي تراقب من قبل رئيس المرفأ والموظفين الآخرين في مستودعات القيادة البحرية.

والواقع أنه كان يحدث، حـتى يتحرر المعتـمدون الماليون في مشترياتهم يبالغون في حساباتهم حول الكميات المطلوبة. ومن هنا فإن الحكومة كانت تضطر إلى مضـاعفة المبالغ. ولوضع حدٍ لهذه الثغرات سيُصار إلى الإعـلان عن لائحة أسعار ثابتة تحددها **الميري** وتكون متواضعة جدًا. والسـعر الجاري لنفس الحاجات يسجل في نفس اللائحة، ويُعوض عنه المعتمدون في الوقت المناسب.

إن أكـثر العـمال فـائدة في عـمليات بـناء السفن أو ترمـيم هياكلـها، من بين جمـيع العمـال المستـخدمين في البـحرية، هم **النجارون**[2]، ومع ذلك فإن أيام عملهم المدفـوعة من قبل **الميرى** لا تصل إلا إلى إثنتي عـشرة بارة، مع أنهم يتـقاضـون عن نفس

---

(1) شوربة في الأصل.

(2) المارنغو.

العمل مبلغ ستين بارة، بل قرشين حين يستخدمون في أعمال أخرى أو في السفن التجارية. وبما أنهم غير مرتبطين في سلك البحرية، فإنهم يتمكنون من التفلت حين يجدون فرص للعمل في مكان آخر، بما كان يدفع **ضباط البوارج**[1] إلى جلبهم بالقوة لعدم توافر العدد اللازم من عمال النجارة، بالإضافة إلى أن أولئك الذين يجلبون بالقوة كانوا يعملون بغير إرادتهم وبشكل رديءٍ للغاية. لذا فقد اتفق الرأي على وضع النظام الأكثر ملاءمة بقدر ما تسمح الظروف. وبالنسبة للوقت الحاضر فقد تم تطويع عدد من المساعدين المدفوعي الأجر[2] في نطاق الخدمة الخاصة بسلاح البحرية. ويصل عدد هؤلاء إلى خمسمئة نجار، بالإضافة إلى مئة وخمسين ثقابًا[3] وأربعين طالبًا[4]. وفي فصل الصيف يصار إلى تجنيد عدد من هؤلاء للقيام بالرحلات التي تقوم بها السفن، ويبقى العدد الآخر في قيادة البحرية. وسيصار إلى دفع رواتبهم وتأمين غذائهم، طالما عملوا في البحرية. ويتم استعراضهم كل صباح، كما يتم استعراض بقية العمال. والراتب القديم الذي يصل إلى اثني عشرة بارة سيعدل ويدفعه المعتمد المالي شهريًا، فلا يعملون في إنشاءات خارجية. أما التلاميذ فسيدفع لهم الأجر حسب النظام القديم، وحين يشغر مكان عمل فإنه يعطى للتلميذ الأكثر

---

(1) الشاويش.

(2) الغادغلي.

(3) بورغجي.

(4) شاغبرو.

جـداره لملء هذا المنصب، ويسـجل اسـمـه بين أسـماء العـمـال المدفوعي الرواتب. ولهؤلاء تـنظيمات خاصة بهم مـثل المساعدين المأجورين في الأسلحة الأخرى.

ومن أكثر الأقسام أهميـة في صيانة السفن هو القسم المختص بطلاء[1] السفن بالزيت لمنع تسرب المياه. ومع ذلك فإن هذا القسم قد أهمل كثيراً فلم يكن هناك جـهاز خاص بهذه المهمة، وبوارجنا كانت معرضة لخطر تسـرب المياه. وصاحب السعادة **القبودان باشا** اقتنع بضرورة الحـصول على العدد اللازم من العمال، فـعمد إلى جلب مئـتين منهم من مصر. وقـد عمد أيضـًا إلى بناء ثكنة لهم على وجـه السرعـة، تقع خلف القـيادة البـحرية. وقـد أمنّ لهم الغذاء والملابس وعاملهم بكثـير من الكرم. وقد كان عملهم كـثير الفائدة إلى درجة أن بوارجنا تتمكن من البقاء ثلاثة أو أربعة أشهر في البحر دون أن يتسرب إليها الماء.

وليـست هذه هي فقط الحـسنات التي أمدتنا بـها إصـلاحات صاحب الجلالة السلطانية، ففي السابق لم يكن في القيادة البحرية إلا آلة[2] واحدة لطلاء السـفن، فلا يمكن طلاء السـفن إلا واحدة بعد الأخرى. وقد تم بناء واحدة أخرى لاحقا، لكن الاثنتين كانتا من الخشب بحيث يلزم تجديدهما أو إصلاحهما كل ثماني أو عشر سنوات. وهذا يكلف نفـقات كثـيرة. وقد تمّ اليـوم هدم الاثنتين وبناء ثلاث مطارح متينة من الحجر متجاورة بعضها لبعض.

---

(1) الكفافل.

(2) دراغلي..

ونرى أيضًا في قيادة البحرية آلة لتجهيز صواري البوارج. ودواليب هذه الآلة شديدة الاتساع. وعند مدخل **الكاغد خاصة**[1] تم بناء عدة ترسانات حديثًا، لإصلاح زوارق المدفعية. ويمكننا أن نحصي أكثر من خمسين قد جرى بناؤها حديثًا. ويجري العمل حاليًا على بناء حوض ضخم.

ولا يمكننا أن ننكر أن البحرية أصبحت أكثر قوة تحت حكم سلطاننا العادل. ودون أن نتكلم عن البوارج التي تبني كل سنة في العاصمة، فإننا نملك في أماكن متعددة أحواضًا توفر لنا سنويًا بوارج جديدة.

ولقد تقرر تصفيح بعضًا من بوارجنا العديدة بالنحاس، فكل البحارة يؤكدون بأن هذه الطريقة هي المثلى لحفظها مدة طويلة. وفي الماضي كان البارود يوضع في براميل استبدل حاليًا صناديق كبيرة من النحاس.

ويمكن التحقق بسهولة من النشاط والنظام المخيمين على الأعمال في سلاح البحرية. حين نتذكر أنه في العام الماضي، وفي نهار واحد، أنزلت إلى ثلاثة جسور: سفينة من سبعين قدمًا، وفرقاطة طولها خمس وخمسون قدما، وحراقة طولها سبعة وثلاثون قدما، ويخت مخصص لاستخدام صاحب الجلالة السلطانية. وقد صفحت جميعها بالنحاس.

---

(1) المعروفة باسم (المياه العذبة).

ويقــوم صاحب الجــلالة بزيارات لأمــاكن مــختــلفة حــسب الفصول فيزور أحيانًا **طوب قابو** وأحيانًا أخرى **باشيكتاش او انلي – كافل**. فتــقوم بارجــتان عند كل زيارة باستــعراضــات عسكرية وتدريبات بحرية. فــيظهر استحسانه للضــباط والطواقم. وهذا ما يساعــد كثــيراً على تنشــئتــهم، بحيث يمكننا القــول الآن إنهم لم يعودوا بحاجة إلى دروس أجنبية.

وقديمًا كانت بحريتنا التجارية كبــيرة جدًا، وكانت سفننا تبحر صيــفًا شتــاءً. ولكن منذ بعض الوقت أدت أسبــاب مخــتلفة إلى تقليص عــددها. وقد عمــد الباب العــالي منذ سنتين، في ســبيل تحسين أوضاع مالكــي السفن وتسهيل استيــراد الحاجات الضرورية إلى القسطنطينية إلى إلزام بعض الأعيان المعروفين والميسورين بشراء مراكب من الأوروبيين أو صنع سفن جديدة ليــصار إلى تشغيلها، حسب الفــصول، في البحر الأبــيض والبحر الأسود. ولهــذا فإن بحريتنا التجارية قد أصلحت في الوقت الحاضر.

وقد أنشئت في القيادة البحــرية مدرسة للرياضيات وطلاب هذه المدرسة مــقسومون إلى صــفين. لكل صف أساتذته. الصف الأول يدرس فن الإبحــار ويتمــرن على تصمــيم خرائط عــامة وخــاصة. والصف الثاني يدرس كافة الفروع المتــعلقة ببناء السفن. والعديد من هؤلاء الطلاب قد اتقن مــهمته ويمكننا أن نتــيقن من ذلك عند رؤية التصــاميم حــيث نرى رسوما لهــياكل السفــن: أن سهولة الأعــمال وحسنات حبل الشراع تضاف إلى جمال هذه القطع.

إن الثغرات والأخطاء التي هيمنت في السابق سلاح البحرية جعلت الأمل بتحقيق الإصلاح شبه مستحيل، ومع ذلك فقد أصلحت في مدى عدة سنوات. والسلطنة بأسرها تدين بذلك لصاحب الجلالة السلطان الذي، إلى جانب نشاطه الذي لا يتعب لإصلاح كافة مصالح الإدارة، يجمع كل المعارف والأفهام الضرورية.

تنظيم
للقلاع السبع عند مضيق البحر الأسود

القسطنطينية هذه المدينة الرائعة، المقام السلطاني لملوكنا العادلين، كانت فى كل وقت من الأوقات تثير رغبة كل قوى أوروبا بفضل موقعها المميز. فهي تمثل نقطة الاتصال بين البحر الأبيض والبحر الأسود. وحتى اليوم لم يجر الاهتمام إلا بالتحصينات عند قناة البحر الأبيض. ولكن صاحب الجلالة السلطانية، الذي تحيط أفكاره الواسعة والسامية بكل الشؤون، اقتنع بضرورة مضاعفة وسائل الدفاع في سلطنته. فأمر بترميم التحصينات التي كانت قائمة فيما مضى في قناة البحر الأسود كما أمر بتدعيمها بتحصينات جديدة وسن التنظيمات الخاصة بذلك.

وقد سمي نتيجة لذلك **ناظر** لقناة البحر الأسود. وقد وقع الاختيار على رجل جدير بحفظ النظام، وقد عين له راتبا كبيرا.

وقد دعمت جميع حاميات القلاع، وكل حامية عليها القيام بالمهام الموكولة إليها، دون إهمال أي شيء في سبيل إتقان جميع أقسام المدفعية.

ولتسهيل العمل في خدمة كل حامية، تقرر إضافة ضابط جديد، عدا عن الموجودين سابقا وهم آمر القلعة[1] والضابط[2]

---

(1) الديسدار أو الدزدار..

(2) الكخيا..

المساعد له. بالإضافة إلى الضباط الآخرين. والضابط الجديد الذي ألحق بكل حامية يحمل رتبة أومباشي[1] يتبعه مباشرة عشرة رجال يمتثلون لأمره.

ومن كل قلعة، سيكون هناك أربعة حـراس في جميع الليالي، يتناوبون على الحراسة كل بدوره. اثنان منهم يسـهران حتى منتصف الليل، والاثنان الآخران يسهران من منتصف الليل حتى الصباح.

وإذا ظهـرت بارجـة فى الليل، فـإن الحـارس في فنار قلعـة أوروبا[2] بحكم موقعه سيكون أول من يتنبـه لها، فيعطى الإشارة بواسطة أسـهم نارية طائرة إلى فنـار آسيـا[3]، والحارس في هذا الفنار يعطي الإشارة بدوره إلى الحارس في كاربيدجـا فيعطيها إلى حارس **بوراز يماني**، الذي يوصلهما إلى قلعة **روملي كافاغاي**، فتصل مباشرة إلى أناضول كافاغي. وفي نفس الوقت يُبقي الجميع الفتيلة جاهزة في اليد.

وإذا أصرت الـبارجة علـى مواصلة السـير، فإن الحـراس في القلعتين الأوليين يرمونهـا بطلقتي مدفع من أمامهـا وخلفها. وإذا تابعت البارجة طريقـها رغم ذلك واقتربت من القـلاع فإنها ترمى بطلقـتين مماثلتين، لإرغامـها على الوقـوف. ومع الاستـمرار في مراقبتها يُعد المراقبون تقديرهم لرفعه بسرعة إلى قيادة البحرية.

---

(1) ضابط..

(2) أي الواقعة على الجانب الأوروبي.

(3) الواقعة على الجانب الاسيوي

وإذا أصرت البارجة، رغم طلقات المدافع المتكررة، على المرور، فإن على القوات أن لا تتردد أبدًا في إغراقها. وحتى لو توقفت أمام القلاع أو أمام **كاراطاش الطي**، فإنها تبقى تحت المراقبة، ويبقى الجميع على استعداد لكل احتمال.

وتؤخذ نفس الاحتياطات حين تظهر بارجة في وضع النهار. وإذا دخلت بارجة مشابهة، خلال الصيف، فيمكن إغراقها فى كاراطاش الطي. وفي الشتاء يستحسن إغراقها في الكافاك. والعمليّتان مناسبتان بشكل رائع، الأولى في الصيف والثانية في الشاء.

وتشرف على الحاميات قوات المدفعية، بحيث يقود ضباط مع تسعة جنود القطعة التي يلحقون بها. وسيكون مع كل حامية مدفع أو اثنان أو ربما ثلاثة حسب حجم الموقع. ويقوم الجنود بتنظيف مدافعهم في أيام العطل، وحين يلاحظون بعض الأخطاء فإن عليهم إعلام الناظر فيأمر بالإصلاحات الضرورية.

وإذا كان التدريب على المدافع ضروريا بالنسبة لجنود الحامية، فإن التدريب على الرماية ليس بأقل فائدة لهم. وكلهم بالنتيجة، يقلدون الفيلق المنظم على الطريقة الأوروبية في **لاوند جفتلك**[1] . فيتدربون على استخدام البنادق وعلى التشكيلات العسكرية، ومن حين إلى حين فإنهم يقومون بالتدريب على التحصينات وعلى النظار في القلاع أن يحضروا هذه التدريبات. بالإضافة إلى ذلك،

---

(1) موقع يعرف بهذا الاسم، راجع لاحقا التنظيم الخاص بهذا الاسم.

فإن القـبودان باشا، عنـدما يكون في القسطنطيـنية، فإنه يحـضر شخصيًا من حين إلى آخـر. وحين يكون في إحدى الحملات فإن الضـبـاط المكلفين ينوبون عنـه. هذه هي التنظيـمـات التى سنهـا صـاحب الجلالة السلطـانية، ومن يوم إلى آخـر نشـهد نتـائجهـا الشافية[1].

(1) من الوجهة العلمية فإن هذه الترتيبات لم تمنع الأسطول الانكليزي من محاصرة استامبول وتهديدها بالقصف عام 1806 . . .

تنظيم

من أجل القلاع الأربع في قنال البحر الأسود

منذ زمن بعيد، كانت حامية قلاع اناخول كافاجي وروميللي كاراجي، مكونة من ضباط وجنود منتزعين من فيلق **البستانجي**[1]. وبما أن موقعين قد أقيما أمام هذه القلاع، فإن صاحب الجلالة السلطانية قد أمر بأن توضع فيها حامية من ذات الفيلق أيضًا. وكذلك الأمر بالنسبة لحامية **يوشاداغي** أو جيل العملاق **وطلي طاليان**. والتنظيمات المعدة لهذه الحاميات هي على الوجه التالي.

يكون **للبستانجي باشي**[2] الإشراف المباشر على حاميات القلاع الأربع المذكورة سابقًا. وسيكون لهذه الحاميات ناظر خاص بها ومراقب مالي. يهتم الناظر بحفظ النظام ويوزع المراقب الرواتب. أما الضباط[3] في فيلق البستانجي فيكون عليهم تدريب الجنود.

وهذه الحاميات التي تشكل جسما واحدا تتدرب على المدافع والهاونات التي توفر لكل حامية.

---

(1) تكونت فرقة البستنجي التي تضم أكثر من ألفي انكشاري في الأصل لغرض زراعة الأرض الملحقة بالقصر السلطاني. لكن معظم رجال البستنجية كانوا يشغلون مهام الحراسة.

(2) قائد فرقة البستنجية وكان له نفوذ قوي في القصر.

(3) الأسطى، كما يستخدم المؤلف في الأصل.

ويكون هنـاك حـارس للمـدافع في الليل، حـتى في زمن السلم، وعليـه أن يسهـر حـتى الصبـاح، ويقوم بكل الإشـارات المعروفة ويكون متيقظًا وجاهزًا في حال وقوع حادث.

وكل فرقـة ملحقة في خدمـة أحد المدافع عليهـا الاعتناء به، بحيث يكون نظيفًا لا ينقصه أي شيء.

وعلى الجنود أن يقـوموا كل الأيام بـالتدريبـات وأن يتمـرنوا بالرمـاية على علامـات بيضـاء. ومثلهـا يحدث في فـيلق **لاوند جفتلك**، فإنهم يتدربـون بشكل متواصل على جميـع التمرينات العسكرية.

تنظيم
للفيلق المكون على الطريقة الأوروبية
في لاوند جفتلك

لقد ارتأى جلالة السلطان، المثار برغبة إقامة السلطنة وفقًا لنظام محترم، إضافة فيالق جديدة إلى الجيوش العديدة التي يملكها سابقًا، بحيث تكون منظمة على الطريقة الأوروبية. وقد نظم حتى الآن اثنا عشر ألف رجل على الأقل يتواجدون، إن في **لاوند جفتلك** أو في أماكن أخرى. وقد سنت لأجلهم التنظيمات التالية:

وقد بنى لهذه الفيالق ثكنات في الموقع المذكور. وقد عينت لهم أماكن متفرقة ليقوموا بتدريباتهم العسكرية. ولكل منهم غرفة. وثمة مسجد وحمام ومساكن ومتاجر. وباختصار فإن لاوند جفتلك قد أعمرت اليوم.

ولكي لا يلحق أي ضرر بالطرق المستخدمة سابقا في السلطنة، فإن القوات الجديدة قد ألحقت بفيلق البستانجية القديم وعرفت باسم جديد هو: **بستانجي توفتكشاسي اوغاجي**[1]، ولهذه القوات **ناظر** انتخب من بين الضباط الكبار في السلطنة. أما قائد هذه القوات فيعرف باسم **قابدجي باشي**[2]، ويحصل على راتب مرتفع، ومهمته السهر على حفظ النظام والقيام بجميع المهام

---

(1) رماة سلاح البستانجية.

(2) قائد أو رئيس الخيالة.

الإدارية الخاصة بالفيلق بشكل ينسجم مع الناظر. يضاف إلى ذلك **المراقب** ومعه اثنان من المعاونين. وجميع هؤلاء يحصلون على رواتب مرتفعة. أما **الفيلق**[1] فيتكون بمجموعه من اثنتي عشرة **فرقة**[2] كل واحدة تضم ألفًا وستمئة واثنين من الرجال، موزعين بين ضباط وجنود.

وتقدم الدولة لهؤلاء الضباط والجنود أسلحتهم وبزاتهم العسكرية. ويتميز السقا فقط من بين غيرهم بأحزمة برونزية وسوط جلدي. أما **الكاركلوكتشي** فإنهم يلبسون أحزمة مشابهة من ذات المعدن أي البرونز.

ويعتمر جميع الضباط والجنود على قدم المساواة في زمن السلم **باراة**[3]، مثل التي يعتمرها سائر أفراد البستانجي. ولكن بما أنها معيقة أثناء العمل، فإنهم يعتمرون في زمن الحرب أخرى أقل وزنا ولكن لها نفس الشكل.

وسيكون لكل فرقة مدفعها الخاص بها. ويعمل الجنود الملحقون بثكناتهم بالتدريب بشكل ثابت على التمارين العسكرية.

ويتدرج الضباط والجنود في الفرق الاثنتي عشرة على النحو التالي:

---

(1) البولوك أو البُلْك.

(2) أو رطلة.

(3) قلنسوة مرتفعة من القماش الأحمر

فبالإضافة إلى قائد الفيلق، يتم اختيار المأمورين من بين الضباط حسب الاستحقاق: **بونباشي** واحد ومأمور. **طوبشي باشي وطوبشي شاويش، وعرجي باشي وعربجي شاويش. جابتشي باش وجابتشي شاويش**. وثمانية **جابشناجي**. واثنين برتبة **جابنشي كارا كوكو كتشاسي**[1].

ويؤلف الموسيقى العسكرية معلم موسيقى[2] مع عازف على العود[3] وضارب على الطبل[4] بالإضافة إلى ملازم[5] وقارع على الدربكة[6] ومساعده.

وسيكون هناك أيضًا اثنان برتبة **باش يوزباشي**[7]، يعطى لكل منهم لقب آغا يمين و**آغا يسار**. ويكون لكل منهم مساعد.

ويلحق بكل فرقة **إمام وبولوك باشي** مع اثنين برتبة ملازم **دبير قدار** بالإضافة إلى **شاويش**.

وسيكون في كل فرقة أيضًا عشرة **يوزباشي**. وتتكون الاثنتا عشرة فرقة من ألف وثمانين جنديًا. فيها اثنا عشر **طوب اسطاسي**. واثنا عشر **طوب لكفاسي** وأربع وعشرون مدفعي،

---

(1) وجميع هؤلاء ضباط مسؤولون.

(2) مهتار باشي.

(3) سار ناظم.

(4) سار طبلنزان.

(5) مساعد، سار زلزان.

(6) سار نقارزن.

(7) قائد العرفاء.

واثنا عشر **عربجي كلفاسي**، وستون **عربجي**، وأربعة وعشرون سقا، وسبعون **كاراكوكوكتشي**.

ويأمر **البونباشي** الفرق الاثنتي عشرة جميعها المكونة من ألف وستمئة ورجلين. بما في ذلك الضباط، أما **الباش يوزباش آنما يمين ويسار**، فيكون تحت إمرة كل منهم ست فرق مكونة من سبعمئة وسبعة وثمانين رجلاً، أما **اليوز باشي** فيأمَّر على فرقة مكونة من مئة وثلاثين رجلاً.

والهمة والنشاط اللذان بهما شكلت هذه الفرق وتدربت على التمارين العسكرية، أسهمتا في تقديم قواته منظمة للغاية للسلطنة العثمانية في وقت قصير. والتي لا تنقص اليوم، فيما يتعلق **بالتكتيك**(1) عن قوات أية أمة أوربية.

---

(1) من الأصل tactique وقد دخلت الكلمة انذاك إلى التركية لتشير إلى كل ما يتعلق بالنظام العسكري.

خلاصة

ينبغي كتابة مؤلف كامل للدخول في تفاصيل جميع القوانين التي تخص عائدات الحرمين ومختلف العائدات العامة. ولم أذكر سوى خمس عشرة منها، مقتنعًا أن هذه العينة أكثر من كافية لمعرفة حكمة السلطان العادل الذي ندين له بالثناء. وهكذا فإن نقطة واحدة من الماء تكفي للإشارة إلى وجود نهر وتعني مكان جريانه.

ليمد الله زمنًا طويلاً في حكم السلطان، الذي لن يتوقف بدون شك عن إعطاء الأمثلة المتعددة على حكمته الفائقة وعمق بصيرته ومعرفته. وسأعتبر نفسي سعيداً إذا ما السماء اختارتني لأنقلها إلى الأجيال القادمة.

2

■ الملاحـــق ■

2 - نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1801.

سيد مصطفى